بَكَيْتُ دماً يومَ النَّوى فمسَحْتُهُ بكفِّيَ فاحْمرَّتْ بنانيَ من دمِ
ولو قبلَ مَبْكاها بَكَيْتُ صَبَابةً بسُعْدَى شَفَيْتُ النفسَ قبل التندُّمِ
ولكنْ بَكَتْ قبلي فَهَيَّجَ لي البُكَا بُكاها وكان الفَضْلُ للمتقدِّمِ

ومنه:

يا جَوارِ[ي] الحَيِّ عُذْنَنِيَهْ حَجَبُوا عنِّي مُعَذِّبِيَهْ
رَشَأٌ[1] كالبَدْرِ طَلْعَتُهُ لو سقاني سُمَّ سَاعَتِيَهْ
لم أقُلْ إني سَلَوْتُ ولا إنَّ مَنْ أهْوَاه مِلَّتِيَهْ
فهو حَجِّي وهو معتَمَري وهو فَرْضي وهو سُنَّتِيَهْ
وهو قصدي وهو معتمدي وهو جالينوسُ عِلَّتِيَهْ
قَرِّبُوا عُوداً وباطِيَةً[2] فبذا أدْرَكْتُ حَاجَتِيَهْ

السنة الخامسة والستون

فيها خرج سليمان بنُ صُرَد إلى النُّخَيْلَة[3] في مستهلّ ربيع الآخِر للوعد الذي كان قد واعدَ عليه أصحابَه، ويسمَّى جيش التَّوَّابين، فنزل بها، وخرج إليه الناس، فلم يعجبه قلَّتهم، فبعث إلى حكيم بنِ منقذ الكندي[4] والوليد بنِ غُصين، فقال: اذهبا إلى الكوفة، فناديا: يا لَثارات الحسين، فدخلا إلى الكوفة، وبلغا المسجد الأعظم، وسمع الناس، فخرجوا وقاموا من الفُرُش، منهم عبد الله بن خازم الأزدي؛ كان مع زوجته سهلة بنت سبرة، من الأزد، وكانت من أجمل الناس وأحبِّهم إليه، فلما سمع الصوت قام، فلبس درعه، وحمل سلاحه، وركب فرسه، فقالت له امرأته: أَجُنِنْتَ؟! إلى أين؟ قال: ويحكِ! أما تسمعين داعيَ الله؟! فأنا مُجيبُه، وطالبٌ بدم هذا الرجل،

(١) الرَّشَأ: ولدُ الظَّبْيَة إذا قويَ وتحرَّك ومشى مع أمه.

(٢) البَاطِيَة: الخمر وإناؤها.

(٣) موضع قرب الكوفة على سمت الشام، خطب فيها علي ﷺ خطبة مشهورة، ذمّ فيها أهل الكوفة. ينظر «معجم البلدان» ٥/ ٢٧٨.

(٤) في (ب) و(خ): الكناني، والمثبت من «تاريخ» الطبري ٥/ ٥٨٣، و«الكامل» ٤/ ١٧٥. ووقع في «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٣: حكم بن منقذ.

أو يقضيَ الله ما أَحبَّ. فقالت: إلى من تدعُ بيتَك وولدَك؟ قال: إلى الله تعالى، ثم قال: اللهم احفظني فيهم. وخرج حتى لحق بهم.

وخرج أشراف الكوفة، فأصبحوا في النُّخَيْلة، فكانوا ستة عشر ألفاً، وقيل: أربعة آلاف، وكان أسماؤهم في ديوان سليمان ستة عشر ألفاً، فلم يصفَ منهم سوى أربعة آلاف، فقال حُميد بن مسلم لسليمان: إن المختار يُثبِّط الناس عنك. فقال: أما تخافون الله؟! أما تذكرون ما أعطَوْنا من المواثيق والعهود؟!

ثم أقام بالنُّخيلة ثلاثاً يبعثُ أصحابَه إلى الكوفة يُذَكِّرُهم اللهَ والعهودَ التي أعطَوْه، فخرج إليه منهم [نحوٌ من ألف] رجل[1]، فقال المسيّب بن نَجَبَة لسليمان: إنه لا ينفعُك الكاره، ولا يقاتل معك إلا من أخرجته النِّيَّة، فلا تنتظرنَّ أحداً، واكْمِشْ في أمرك.

فقام سليمان متوكِّئاً على قوسه فقال: أيها الناس، مَنْ كان إنما أخرجَتْه إرادةُ وجهِ الله عزَّ وجلَّ وثوابِ الآخرة، فذلك منَّا ونحن منه، ومن كان إنما يريد الدنيا؛ فواللهِ ما نُريد إلا وجهَ الله تعالى، وما معنا ذهبٌ ولا فضَّة، ولا حريرٌ ولا خَزّ، ولا عَرَضُ الدنيا، وإنما هي سيوفُنا على عواتقنا، ورماحُنا في أكفِّنا، وزادٌ قَدْرَ البُلغة إلى أنْ نُلاقيَ عدوَّنا، فمن لم يكن منَّا فلا يَصْحَبْنَا.

فتنادى الناس من كلِّ جانب: لا لِدُنْيا خرجنا، ولا لها طلبنا. فقيل له: أتسير إلى قَتَلَةِ الحسين بالشام، وقَتَلَتُهُ عندنا بالكوفة كلهم؟! [منهم] عُمر[2] بن سعد، ورؤوس الأرباع، وأشراف القبائل؟!

وقال له عبد الله بن سعد: أين تذهب وتدع الأوتار وراءنا؟ فقال سليمان: إن ابن زياد هو الذي جهَّز إلى قتاله، وعبّأَ الجيوش، وفعل ما فعل، فإذا فرغنا منه عُدنا إلى أعدائه بالكوفة، ولو قاتلتُم أهلَ مصركم؛ ما عَدِمَ الرجل أن يرى رجلاً قد قتلَ أباه أو

---

(١) في (ب) و(خ): فخرج إليهم منهم رجل. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٥/ ٥٨٤، وما بين حاصرتين منه، وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٣.

(٢) في (ب) و(خ): عمرو. وهو خطأ. وكذا في الموضع الآتي. والكلام هنا مختصر عن رواية الطبري ٥/ ٥٨٥ـ٥٨٦. وما بين حاصرتين منه. وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٣.

أخاه أو حميمه، فيقع التخاذل، فإذا فرغتُم من الفاسق ابنِ الفاسق ابنِ مَرْجَانة؛ حصل لكم المراد. فقالوا: صدقت.

وبلغ عبد الله بنَ يزيد الخَطْمي وإبراهيم بن محمد بن طلحة ذلك، فخرجا إليهم في أشراف أهل الكوفة بعد أن طلبا الإذن في خروجهما إليهم، فأذنَ سليمان وأصحابُه، فقال عبدُ الله بنُ يزيد لكلٍّ من هو معروف بقتل الحسين ﷺ: لا تصحبونا إلى القوم، إنا نخافُ عليكم منهم. فتأخَّروا عنه.

وكان عُمر بن سعد تلك الأيام التي عسكر فيها [سليمان] بالنُّخَيْلَة لا يبيتُ في داره، بل في قصر الإمارة مع الخَطْمِيّ خوفاً لا يُبَيِّتُوه في داره.

ولما دخل الخَطْميُّ وإبراهيم بنُ محمد بن طلحة على سليمان؛ حمدَ اللهَ الخطميُّ وأثنى عليه[1] وعلى رسوله وقال: أما بعد، فإنَّ المسلم أخو المسلم لا يخونُه ولا يغشُّه، وأنتم إخوانُنا وأهلُ بلدنا وأحبّ خلق الله إلينا، فلا تَفْجَعونا بأنفسكم، ولا تشذُّوا[2] علينا برأيكم، ولا تنقصوا عَدَدَنَا بخُرجوكم من جماعتنا، أقيموا معنا، فإذا تيقَّنَّا أنَّ عدوَّنا قد شارف بلادنا؛ خرجنا بجماعتنا فقاتلناه. وتكلَّم إبراهيم بمثل ذلك.

فقال لهما سليمان: إني قد علمتُ أنكما قد مَحَضْتُما النصيحةَ، واجتهدتُما في المشورة، ونحن إنما خرجنا للهِ تعالى، ولا نُرانا إلا شاخصين.

فقال الخَطْمي: فأقيموا حتى نجهِّز معكم جيشاً كثيفاً تلقَون عدوَّكم به، فتكونوا به ظاهرين عليه، فقال سليمان: انصرفا الآن حتى نرى رأينا. فقال لهم الخَطْمي وابنُ طلحة: أقيموا ونحن نخصُّك وأصحابَك بخراج جُوخَى دون الناس. فقال سليمان: ما خرجنا للدنيا، بل لبذل نفوسِنا لله تعالى.

وإنما فعل الخَطْمي وابنُ طلحة ذلك خوفاً من ابن زياد أن يفجأهم.

---

(١) وقع خرم في (ب) بدءاً من هذا الموضع وحتى ص٣٧٣ (أحداث سنة ٦٦ أول ذكر مسير جيش المختار).

(٢) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٨٧: ولا تستبدُّوا.

ثم أجمع القوم على المسير إلى قتال ابنِ زياد، وكانوا قد انتظروا إخوانهم من أهل البصرة والمدائن، وأبطؤوا عليهم، فقال سليمان: لعلَّ عوَّقهم قلةُ نفقة، أو أمر آخر، فسيروا، فهم يلحقون بنا.

فساروا عشيَّة الجمعة لخمس مضين من شهر ربيع الآخِر سنة خمس وستين، فنزل سليمان دار الأعور[١]، وتخلَّف عنه ناسٌ كثير، ثم سار، فنزل أقساس[٢] ـ بلد على شاطىء الفرات ـ لعرض الناس، فسقط منهم نحوٌ من ألف رجل، فقال سليمان: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ لأنَّ الله كره انبعاثهم فثبَّطهم.

ثم أدلجوا، فَصَبَّحُوا قبرَ الحسين عليه السلام، فلما رأَوْه صاحُوا صيحة عظيمة واحدة، وبكَوْا، فما رُئي باكياً أكثر من ذلك اليوم[٣]. وقالوا: يا ربَّنا، إنَّا خذلنا ابنَ بنتِ نبيِّنا ﷺ، فاغفر لنا ذنوبنا، وتُبْ علينا. وتضرَّعوا وبكَوْا.

ثم ساروا [و] على الناس أربعة[٤]: سُليمان بن صُرَد، وهو أمير القوم، والمسيَّب ابن نَجَبَة الفَزَاري، وعبد الله بنُ سعد الأَزْدي، وعبد الله بن وال التَّيْمي، ورِفاعة بن شدَّاد البَجَلي، والأمورُ راجعةٌ إلى ابنِ صُرَد، فأخذُوا على طريق [الحَصَّاصة، ثم على] الأنبار، ثم على صَنْدُوداء[٥]، ثم على القَيَّارة، وجعل سليمانُ على مقدمته كُريب بن يزيد[٦] الحميري. وتَقَدَّمهم عبد الله بنُ عوف الأحمري[٧] يرتجز، فقال وهو على فرس كُمَيْت[٨]:

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٢/ ٣٤ ، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٥٨٩ : دير الأعور، وفي «الكامل» ٤/ ١٧٧ : دار الأهواز.

(٢) قرية بالكوفة يقال لها: أقساس مالك، نسبة إلى مالك بن عبد هند. ينظر «معجم البلدان» ١/ ٢٣٦ .

(٣) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٨٩ : فما رئي يومٌ كان أكثر باكياً منه. وفي «الكامل» ٤/ ١٧٨ : فما رئي أكثر باكياً من ذلك اليوم.

(٤) بل خمسة، وسلف ذِكرُهم ص٢٦٥ (أحداث سنة ٦٤). وزدتُ الواو بين حاصرتين للسياق.

(٥) في (خ): صدوديا. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٤ . وما بين حاصرتين منه ومن «تاريخ» الطبري ٥/ ٥٩٠ ، ووقع فيه: الصدود، بدل: صدوداء.

(٦) كذا في «تاريخ الطبري»، وفي «أنساب الأشراف»: مرثد.

(٧) في (خ): الأحمثي. وهو خطأ، وهو: عبد الله بن عوف بن الأحمر.

(٨) الكُمَيْت من الخيل: ما كان لونُه بين الأسود والأحمر.

خَـرَجْـنَ يـلـمـعْـنَ بـنـا أرسـالا عَـوابـسـاً يَـحْـمِـلْـنـنـا أبـطـالا
نـريـدُ أن نَـلْـقَـى بـهـا الأقـتـالا[١] الـقـاسـطـيـن الـغُـدُر الـضُـلَّالا
وقـد رَفَـضْـنـا الأهـل والأمـوالا والـخَـفِـراتِ الـبِـيـضَ والـحِـجَـالا[٢]
نُـرْضِـي بـه ذا[٣] الـنِّـعـم الـمِـفْـضـالا

وكان عبد الله الخَطْمي قد كتبَ إلى سليمان والتوابين كتاباً، فلَحِقَهم بالقَيَّارة[٤]، فقرأه سليمان عليهم، وإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله بن يزيد إلى سليمان بنِ صُرَد ومن معه من المسلمين، سلامٌ عليك، أما بعد، فإنَّ كتابي إليكم كتابُ ناصحٍ شفيق، وكم من ناصحٍ مُستغشّ، وكم من غاشٍّ ناصح، بلغني أنكم تريدون المسير بالعدد اليسير إلى الجمع الكبير، وإنَّ من أراد أن ينقلَ الجبال عن أماكنها تَكِلُّ مَعاولُه، ويفرَغُ وهو مذمومُ الفعل والعقل، يا قومنا لا تُطمِعُوا عدوَّكم في أهل بلادكم، فإنكم أخيارٌ كلُّكم، وأعلامُ أهل مصركم، ومتى ما يُصيبُكم عدوُّكم أطمعه ذلك فيمن وراءَكم، يا قومنا «إنَّهم إن يَظْهَرُوا عليكم يرجُموكم أو يُعيدوكم في ملتهم ولن تُفلحوا إذاً أبداً» وإنَّ أيديَنا وأيديَكم واحدة، وعدوَّنا وعدوَّكم واحد، ومتى تجتمعْ كلمتُنا نظهرْ على عدوِّنا، ومتى تختلفْ تَهُنْ شوكتُنا على [مَنْ] خالفَنا، يا قومنا لا تستغشُّوا نُصحي، ولا تُخالفوا أمري، وأقْبِلُوا حين يُقرأ عليكم كتابي، أقبلَ الله بكم إلى طاعته، وأدْبَرَ بكم عن معصيته، والسلام.

وقال سليمان لأصحابه: ماذا تَرَوْن؟ قالوا: قد أبَيْنا هذا عليهم ونحن في مصرنا بين أهلنا، فالآن حين خرجنا ووطَّنَّا أنفُسنا على الجهاد، ودنَونا من أرض عدوّنا! ما هذا برأي، فما تقول أنت؟ فقال سليمان: إنكم لم تكونوا أقربَ من إحدى الحُسْنَيَيْنِ منكم من يومكم هذا للشهادة أو الفتح، ولا أرى أن تنصرفوا عمَّا جعلكم[٥] الله عليه من

---

(١) جمع قِتْل، وهو المِثْل والنظير في قتال وغيره.

(٢) الخَفِرات: جمع خَفِرة، وهي شديدة الحياء، والحِجال جمع حَجَلة، وهي ساتر كالقُبَّة يزيَّن بالثياب والستور للعروس.

(٣) في (خ) (والكلام منها): يرضَى به ذو . والتصويب من «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٩١ .

(٤) الذي لحقهم بالقَيَّارة بالكتاب هو المُحِلّ بن خليفة الطائي، كما في المصدر السابق.

(٥) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٩٢ : جمعكم.

الحق، ونحن وهؤلاء مختلفون، لأنهم يدعُوننا إلى الجهاد مع ابن الزبير لو ظهروا، ونحن لا نرى ذلك إلا ضلالاً، وإن نحن ظهرنا رَدَدْنا هذا الأمر إلى أهله، فإن أُصِبْنا فعلى نيَّاتنا، تائبين من ذنوبنا، إنَّ لنا شكلاً ولابن الزبير شكلاً، ونحن وإياه كما قال القائل:

أرى لكِ شَكْلاً غيرَ شكلي فأقْصِري عن اللَّوم إذْ بُدِّلْتِ واختلفَ الشَّكْلُ

ثم كتبوا جواب الخَطْمي:

بسم الله الرحمن الرحيم، للأمير عبد الله بن يزيد، من سليمان بن صُرَد ومن معه من المؤمنين، سلامٌ عليك، أما بعد، فقد أتانا كتابُك، وعلمنا ما ذكرتَ، فنِعْمَ ـ واللهِ ـ الوالي، ونِعْمَ الأميرُ، ونِعْمَ أخو العشيرة، أنتَ ـ واللهِ ـ مَنْ نأمنُه بالغيب، ونستنصحه في المشورة، ونشكره على كلّ حال، وقد سمعنا الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ إلى قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[التوبة: ١١١ـ١١٢] إنَّ القوم قد استبشروا ببيعتهم التي بايعوه، وتابوا من عظيم ذنبهم، وتوجَّهوا إلى الله، وتوكلوا عليه، ورضُوا بما قضى الله لهم ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ والسلام عليك.

ولما قرأ الكتاب قال: استمات القوم، واللهِ لَيُقتَلُنَّ كراماً مسلمين، ولا يُقتلون حتى يكثر القتل بينهم[1].

وساروا، فنزلوا هِيْت، ثم ساروا فنزلوا قريباً من قَرْقِيسيا، وبها زُفَر بن الحارث الكلابي قد تحصَّنَ بها، ولم يخرج إليهم، فبعثَ سليمان بنُ صُرَد المسيِّبَ بنَ نَجَبَة وقال له: ائتِ ابنَ عمِّك هذا، فقل له فليُخْرجْ لنا سُوقاً، فإنَّا لسنا إيَّاه نريد، وإنَّما قصدنا هؤلاء المُحِلِّين.

فجاء المسيِّب إلى باب الحصن، فقال: افتحوا، ممَّن تتحصَّنُون؟ فقال له هُذَيل بنُ زُفَر: مَنْ أنت؟ فقال: أنا المسيِّب بن نَجَبَة. فمضَى الهُذَيل إلى أبيه، فقال له: قد جاء إلى الباب المسيِّب، فقال زُفَر: هذا فارس مُضَر الحمراء كلِّها، وهو رجل ناسك له دين. [ائذنْ له].

(١) ينظر «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٩٠ـ٥٩٣. وما سيرد بين حاصرتين منه.

فأذن له، فدخل، فأجلسه زُفر إلى جانبه، وسَاءَلَه، فألطفَ له في المسألة، فقال له: ما إياك نُريد، وإنَّما نريد هؤلاء المُحِلِّين، فأَخْرِجْ لنا سُوقاً، فما نُقيم بساحتك إلا يوماً.

فأمر زُفر ابنَه الهُذيل أن يُخرج لهم سوقاً، وأمر للمسيِّب بألف درهم وفرس، فقبلَ الفرسَ، وردَّ الدراهم، وقال: ما خرجنا لهذا، وهذا الفرس أتَقَوَّى به على جهاد الظالمين المُحِلِّين. وبعث لسليمان والمقدَّمين جوائز وطعاماً وعَلَفاً، وشعيراً كثيراً، ودقيقاً، فحملوا منه ما أطاقوا.

ثم أصبحوا من الغد، فارتحلوا على تعبئة، وخرج زُفَر فشيَّعهم وقال لسليمان بن صُرَد: إنَّ ابن زياد قد بعث إليكم خمسة أمراء قد فَصَلُوا عن الرقَّة، منهم الحُصين بنُ نُمير السَّكوني، وشُرَحْبيل بن ذي الكَلاع، وأدهم بن محرز الباهلي، وربيعة بن مخارق الغَنَوي، وحملة[1] بن عبد الله الخثعمي، وقد أَتوكم [في] مثل الشجر والشَّوْك، واللهِ لقلَّما رأيتُ[2] رجالاً أحسنَ هيئة وعُدَّة منهم، وإنِّي أعرضُ عليكم رأياً لعلَّ اللهَ أن يجعلَ لنا ولكم فيه خيراً: إنْ شئتُم فتحنا لكم الباب[3]، فدخلتُموها، فكان أمرُنا واحداً، ويدُنا واحدة، وإنْ شئتُم نزلتُم إلى جانب قرقيسيا، وخرجنا فخيَّمْنا إلى جانب خيمكم، فإذا جاءنا العدوّ قاتلناه جميعاً.

فقال ابنُ صُرَد: قد أرادَنا أهلُ مِصْرنا على مثل هذا، فأبينا، ولسنا بفاعلين. فقال زفر: فاقْبَلُوا ما أُشيرُ به عليكم، فإني واللهِ للقومِ عدوّ، وأنا لكم محبٌّ، إنَّ القومَ لمَّا أقبلوا من الشام نزلُوا الرَّقَّة، وقد رحلوا عنها طالبين عين وَرْدَة[4]، فبادِرُوهم إلى عين الوردة، واجعلوا المدينةَ وراء ظهوركم والرُّسْداق والماء والمادة بين أيديكم، وأمَّا من ناحيتي فأنتم آمنون، والله ما رأيتُ جيشاً أحسنَ منكم، فبادِرُوا واسبِقُوهم، وإذا التقيتُم فلا تقفوا لهم ترامونهم وتطاعنونهم، فإنهم أكثرُ منكم، فإن استُهدفتُم لهم لم يلبثوا أن يصرعوكم، وليس معكم رجَّالة، ومعهم الرجَّالة والفُرسان، والرجَّالةُ تحمي

(١) كذا في «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٤ . وفي «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٩٤ ، و«الكامل» ٤/ ١٨٠ : جبلة.

(٢) في (خ) (والكلام منها): لقد قلت ما رأيت. والمثبت من «تاريخ الطبري»، ولفظة «في» بين حاصرتين منه.

(٣) في «تاريخ الطبري»: مدينتنا، بدل: الباب.

(٤) هي رأس عين في الجزيرة (جزيرة الشام). ينظر «معجم البلدان» ٤/ ١٨٠ .

فرسانَها، وأنتُم ليس معكم رجَّالة يحمونكم، فإذا التقيتُم فبُثُّوا المَقَانِبَ[١] والكَتائبَ فيما بين ميمنتهم وميسرتهم، فإنْ حمَلَتْ كتيبةٌ ترجَّلَت الكتيبةُ التي إلى جانبها وحَمَتْها، ومتى شاءت كتيبة ارتفعت، ومتى شاءت شغلت[٢]، ولا تكونوا صفّاً واحداً، فإنَّ الرجال إذا حملوا على الصفّ انتقض، ولْتُرْدِفِ الكتائب بعضُها بعضاً.

ثم وقف زُفر، فدعا لهم، وسأل اللهَ النُّصرة والمعونة، فدعا له الناس.

وقال له ابن صُرَد: نِعْمَ المنزولُ به أنت، أكرمتَ النُّزُل، وأحسنتَ الضيافة، ونصحتَ في المشورة.

ثم إنَّ القوم جَدُّوا في المسير، ورتّب ابنُ صُرَد الكتائب كما أمره زُفَر، وساروا على الشَّمْسانيَّة، ثم على السُّكَيْر[٣]، حتى أتَوْا عين وَرْدَة، فنزلوها في غربها، وسبقوا القومَ إليها، فعسكروا، وأقاموا خمساً، وأراحوا خيلهم واستراحوا إلى أن جاء القوم، فكانت الوقعة على عين وَرْدَة.

حديث الوقعة

وأقام ابنُ صُرَد لمَّا نزل على عين وردة خمساً، وأقبلت عساكر الشام مع ابن زياد، فأقام ابنُ زياد بالرَّقَّة، وجهَّزَ إليهم الجيوش، فقصدوهم حتى بقي أهل الشام من عين وَرْدَة على يوم وليلة، وكان عُبيد الله بنُ زياد في ثلاثين ألفاً، والتوَّابون في أربعة آلاف[٤].

وعلم سليمان بنُ صُرد، فقام فخطب، وقال في خطبته: أما بعد، فإنَّ الله قد أتاكم بعدوِّكم الذي دأبتُم في السير إليه آناء الليل وأطراف النهار، فإذا لقيتُموهم فاصدُقوهم اللقاء، واصبروا، فإنَّ الله مع الصابرين، وإنكم قد أتيتُموهم في عُقر دارهم، [وما غُزِيَ قومٌ في عُقر دارهم][٥] إلا ذَلُّوا، لا تقتلوا مدبراً، ولا تُجهزُوا على جريح، ولا تُوَلُّوهم الأدبار. هذه سيرةُ أمير المؤمنين علي عليه السلام.

---

(١) المقانب: جمع مِقْنَب، وهي جماعة من الفرسان والخيل دون المئة تجتمع للغارة. المعجم الوسيط».

(٢) يقارن بما في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٩٥ .

(٣) الشمسانية والسُّكَيْر: بُلَيْدتان على الخابور. ينظر «معجم البلدان» ٣/ ٢٣١ و٣٦٢ . وينظر أيضاً «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٤ .

(٤) ينظر ما سلف ص ٣١٤ عن عدد التوَّابين، وجاء بعده في (خ) (والكلام منها): وعين وردة!

(٥) ما بين حاصرتين من عندي لضرورة السياق.

ثم قال: فإنْ أنا قُتلتُ، فأميرُ الناس المسيِّب بن نَجَبَة، فإنْ أُصيب المسيِّب؛ فعبدُ الله ابنُ سعد بنِ نُفيل، فإنْ أُصيب؛ فعبدُ الله بن وال، فإن أصيب؛ فرِفاعة بن شدَّاد.

ثم بعث المسيّبَ بنَ نَجَبَة في خمس مئة[1] فارس، وقال: سِرْ حتى تلقى أوائلَ عسكرهم، فشُنَّ عليهم الغارة، فإنْ رأيتَ ما تُحبُّ؛ وإلَّا فعُدْ إلينا.

فسار نحو القوم، فلقُوا راعياً من الأعراب يطرُدُ أحمرةً ويقول:

يـا مـالِ لا تَـعْـجَـلْ إلـى صَـحْـبـي واسْـرَحْ فـإنـك آمـنُ الـسِّـرْبِ

فاستبشرَ بقوله، وساروا، فوقعوا على عسكر ذي كَلاع وهم غارُّون[2]، فحملوا عليهم، فانهزموا، وتركوا عسكرَهم وما فيه، فحازه المسيّب وقال: الرَّجْعة، فإنكم قد غنمتُم وسلمتُم.

فعادوا إلى أصحابهم، وبلغ عُبيدَ الله بنَ زياد، فسرَّح إليهم الحُصينَ بنَ نُمير السَّكوني في اثنَيْ عشرَ ألفاً، فجاء إلى عين وَرْدَة يوم الأربعاء لثمان ليال بقين من جمادى الأولى، وجعل ابنُ صُرَد على ميمنته عبدَ الله بنَ سعد بنِ نُفيل، وعلى ميسرته المسيّب بن نَجَبَة، ووقفَ سليمان في القلب، وجعلَ الحُصين على ميمنته حملة[3] بن عبد الله، وعلى ميسرته ربيعة بن المخارق الغَنَويَّ، فنادَوْا: ادْخُلوا في طاعة أمير المؤمنين، وقال التَّوابون: ادفعوا إلينا عُبيدَ الله بنَ زياد لنقتلَه ببعض قَتَلَةِ الحسين[4]، ثم نردَّ هذا الأمر في بيت نبيِّنا ﷺ. فأبَوْا عليهم، والتقَوْا واقتتلُوا، وكان الظَّفَرُ للتوَّابين.

فلما كان من الغد قدم عليهم من ذي الكَلاع ثمانيةُ آلاف؛ أمدَّهم به ابنُ زياد، فاقتتلُوا اليوم الثاني إلى الليل، وكثُرت الجِراح في الفريقين.

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٥ ، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٥٩٦ و«الكامل» ٤/ ١٨١ : أربع مئة.

(٢) أي: غافلون، جمع غارّ.

(٣) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٩٨ : جَبلَة، وفي «الكامل» ٤/ ١٨٢ : جملة.

(٤) ودعَوْهم أيضاً ـ كما في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٩٨ ـ إلى أن يخلعوا عبدَ الملك بنَ مروان، وأن يُخرِج مَنْ ببلادهم من آل ابن الزبير. وبنحوه في «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٥ ، و«الكامل» ٤/ ١٨٢ .

فلما كان اليوم الثالث ـ وهو يوم الجمعة ـ اقتتلوا قتالاً عظيماً، وأحاط بهم أهلُ الشام من كلِّ جانب فترجَّل سليمانُ، وكسَرَ جَفْن سيفِه ونادى: يا عبادَ الله، من أراد الرَّوَاح إلى ربِّه والتوبةَ من ذنبه والوفاءَ بعهده؛ فليأْتِ إليّ. فترجَّل معه ناس، وكسروا جُفُون سيوفهم، وحملوا حتى صاروا في وسط القوم، وقتلُوا من أهل الشام مقتلَةً عظيمة، ورأى الحُصين سليمان فعرفَه، فرماه بسهم، فوقع في نحره[١]، فقال: فُزْتُ وربِّ الكعبة.

وأخذ الرايةَ المسيّبُ بنُ نَجَبَة، وحملَ فأبلى بلاءً حسناً، فقُتل، فأخذها عبد الله بنُ سعد وقال: رحم الله أخويَّ ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ الآية [الأحزاب: ٢٣] ثم قُتل، فأخذَها عبدُ الله بنُ وال، فقُتل وهو يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية [آل عمران: ١٦٩][٢].

وجاء الليل، ولم يبق من الأمراء إلا رِفاعة بن شدَّاد البَجَلي، فسار بمن بقي من الناس في الليل، فقطع الخابور، ومرُّوا قريباً من قرقيسيا، فبعث إليهم زُفَر الطعامَ والعلفَ والأطبَّاء، وقال: أقيموا عندنا ما أحببتُم، فلكم الكرامة والمواساة، فأقاموا ثلاثاً، ثم تزوَّدوا وساروا، وكان أهل البصرة وأهل المدائن قد ساروا خلفهم، فلما انتهوا إلى هِيْت؛ بلغهم خبرُ الوقعة، فعادُوا. ولما وصل القوم إلى الكوفة؛ وجدوا المختار محبوساً[٣].

وبعث ابنُ زياد برأس ابن صُرَد وابن نَجَبَة إلى مروان، فصعد المنبر وقال: قد أهلك الله رؤوس الضلالة سليمان وأصحابه. وعدَّهم[٤].

ولما قدم التوَّابون الكوفة كتب إليهم المختار من الحبس: مرحباً بالعَصَب الذين أعظم الله لهم الأجر، ورضيَ عنهم، أما وربِّ البَنِيَّةِ التي بنى ما خطا أحدٌ منكم

---

(١) جاء في المصادر أن الذي رماه بسهم فقتله هو يزيد بن الحُصين. ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٥ ، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٩٩ ، و«مروج الذهب» ٥/ ٢١٦ـ٢١٧ ، و«الكامل» ٤/ ١٨٣ .

(٢) ينظر «تاريخ» الطبري ٥/ ٦٠٢ .

(٣) المصدر السابق ٥/ ٦٠٥ .

(٤) المصدر السابق.

خُطوة، ولا رتا رَتْوةً[١] إلا كان ثواب الله له أعظمَ من الدنيا وما فيها، إنَّ سليمان بن صُرَد قضى ما عليه، وتوفَّاه الله، فجعل رُوحه مع أرواح النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، ولم يكن بصاحبكم الذي به تُنصرون، وإنما أنا الأميرُ المأمون، قاتلُ الجبَّارين المُحِلِّين، والمُقِيدُ من الأوتار، فأَعِدُّوا واستعدُّوا، وأبشروا واستبشروا، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنةِ رسولِه، والطلبِ بدماء أهل البيت، والدفعِ عن المساكين، ورَدْعِ الظالمين[٢].

وفيها عقدَ مروان البيعة لابنيه عبدِ الملك وعبدِ العزيز، وكان مروان حين بُويع بالخلافة عهد إلى خالد بن يزيد بعده، ثم إلى عمرو بن سعيد بن العاص، فلما فتح مصر عهد إلى ابنه عبد العزيز، فعزَّ ذلك على بني أمية وآل حرب وقالوا: غَدَرَ وكذَب. وعزموا على خلعه، فعهد إلى عبد الملك وولَّاه فلسطين، وعهد بعهده إلى عبد العزيز، وولَّاه مصر.

وفيها سار مروان إلى مصر، فافتتحَها، وكان على مصر عبد الرحمن بن عُتبة بن أبي إياس بن جَحْدم، فخرج مروان من دمشق، واستخلف عليها ولدَه عبد الملك.

ولما مرَّ مروان بفلسطين ـ وقيل: بِرَفَح ـ كان بها أهلُ السائب بن هشام العامري[٣]، وكان السائب مقيماً بمصر عند [ابن] جَحْدم، [وعند] وصول مروان إلى الساحل[٤] جهَّز إليه السائبَ في ثلاثة آلاف فارس، وكان مروان لما مرَّ بأهل السائب قال له رَوْح ابن زِنْباع: خذ ابنَي السائب معك رهينة. فأخذَهما، وسارَ مروان إلى مصر، فالتقَوْا دون الفسطاط، فأخرج مروان ابنَي السائب بين الصفَّين، ونادى منادي مروان: إنْ لم يرجع السائب عن قتالنا وإلا قتلناهما.

فرجع السائب إلى الفسطاط، فبعث إليه ابنُ جَحْدم جيوشاً ومروان يهزمُها، فصالحه ابنُ جَحْدم على أن يخرج إلى مكة بماله وأهله، فأجابه مروان، وخرج إلى ابنِ الزبير إلى مكة[٥].

---

(١) بمعنى ماقبلها، أي: خطا خطوة.

(٢) ينظر «تاريخ» الطبري ٥/٦٠٦.

(٣) في (خ) (والكلام منها فقط): العدوي، وهو خطأ.. وينظر «أنساب الأشراف» ٥/٣١٩.

(٤) كذا في (خ). وزدتُ ما بين حاصرتين لضرورة السياق.

(٥) ينظر «أنساب الأشراف» ٥/٣١٨ـ٣١٩.

وقيل: إن مروان قتلَ ابنَ جحدم في هذه السنة، واستخلفَ عبدَ العزيز على مصر[١].

وعاد مروان إلى الشام، وقال لعبد العزيز: يا بُنيّ، أَرْسِلْ حكيماً ولا تُوصِهِ، وإن كان عليك حقٌّ غُدوةً فلا تؤخِّرْه إلى عشيَّة، وعلى العكس، وإيَّاك أن يظهر منك كذبٌ لرعيَّتك، فإنه إن ظهر لهم منك ذلك في الباطل لم يصدِّقُوك في الحقّ، واستشر جلساءك [وأهل العلم، وقرِّب أهل الحَسَب والدين والمروءة، وليكونوا جلساءك]، ثم اعرف لهم منازلهم، وإن غضبتَ على أحد من رعيَّتك، فلا تُعاقبه حتى يسكنَ غضبُك، ولا تؤاخذه عند سَوْرَة الغضب. أقول قولي هذا وأستخلفُ اللهَ عليك[٢].

ذكر يوم الرَّبَذَة:

[قال علماء السِّيَر:] ولما عاد مروان من مصر جهَّزَ جيشاً إلى ابن الزُّبير مع حُبَيْش بن دُلَجَة في ستَّة آلاف وأربعِ مئة؛ فيهم يوسف بن الحَكَم الثقفي، ومعه ابنُه الحجَّاج [بن يوسف]، وكان جابر بن الأسود بن عوف عامل ابن الزبير على المدينة، فهرب إلى مكة.

وجهَّز إليهم عبد الله بن الزُّبير جيشاً من الحجاز، وكتب إلى البصرة يطلب الجيوش، وكان على البصرة الحارث بن [عبد الله بن أبي ربيعة، ويقال له: القُباع، وكان ابن الزبير قد ولّى][٣] عبدَ الله بنَ مطيع الكوفة.

فجهَّزَ الحارثُ الحَنْتَفَ[٤] بنَ سِجْف التميميّ على جيش البصرة، واجتمعوا بجيش الكوفة، وساروا في خمسة آلاف.

وكان حُبَيْش بن دُلَجَة لما أتى المدينة؛ نزل عسكرُه بالجُرْف، ودخل هو المدينة، فنزل بدار مروان، وهي دار الإمارة، واستعمل على سوق المدينة رجلاً من مزينة يُدعى مالكاً.

---

(١) من قوله: وكان على مصر عبد الرحمن بن عتبة... إلى هذا الموضع، وقع بدلاً منه في (م) ما صورتُه: «وقال الواقدي: كان ذلك سنة أربع وستين، وقال هشام: في سنة خمس وستين، وقد ذكرنا أن عبد العزيز ولِيَ مصر، وجعله مروان ولِيَّ عهده».

(٢) العقد الفريد ١/ ٤٢، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٣٢ـ٣٣٣. وما سلف بين حاصرتين من (م).

(٣) ما بين حاصرتين من (م)، ووقع فيها: بن ربيعة، وهو خطأ.

(٤) في (م): الحنيف (وكذا في المواضع الآتية). ولم تجوّد في (خ). والصواب ما أثبتُّه. وينظر «الإكمال» ٢/ ٥٦٠، و«توضيح المشتبه» ٣/ ٣٧٥.

وأخاف حُبيشٌ أهلَ المدينة، وآذاهم وقال لهم: يا أهل النِّفاق والشِّقاق.

[وقال أبو اليقظان:] وصعد منبرَ رسولِ الله ﷺ، فجعلَ يأكل التمر على المنبر، ويرميهم بالنَّوَى ويقول: إن هذا ليس بموضع الأكل، ولكني أردتُ أن أعرِّفكم هوانَكم عليَّ. ألستُم خذلتُم أمير المؤمنين [عثمان] وفعلتُم وفعلتُم؟ وإنَّ لكم يوماً كيوم الحَرَّة[١].

وأساء السيرة، وأفسد أصحابُه فيها، وأخرجوا الناس من منازلهم.

[قال ابن سعد: ووصل الحَنْتَفُ في ذلك الحال ومعه جيوش العراق كما ذكرنا][٢].

[وقال هشام:] ولما وصل حُبيش إلى المدينة التقاه جيشُ ابنِ الزُّبير، فاقتتلوا، فكانت في أوَّل النهار على أهل الشام، ثم صارت في آخره على أهل الحجاز، فانهزموا، ودخل حُبيش المدينة، وفعل ما فعل، فبينا هو كذلك إذ أقبل الحَنْتَفُ في جيوش أهل العراق، وانضاف إليه مَنْ هربَ من جيش الحجاز، فخرج إليهم حُبَيْش، وخلَّف بالمدينة بعضَ أصحابه خوفاً من مَدَد ابنِ الزبير أن يصل إليها، وكمن له الحَنْتَفُ بالرَّبَذَة. ولما وصلَ إليها لم يشعر إلا بالكمين من كل ناحية، فأخذتهم الرِّماح والسيوف، وقتلوا أهلَ الشام قتلاً ذريعاً، وقُتل حُبَيْش بنُ دُلَجَة، وأُسِرَ من أهل الشام خمسُ مئة[٣].

وهرب يوسف ومعه ابنه الحجَّاج؛ أردفَه خلفَه، فكان الحجَّاج يقول: ما أقبحَ الهزيمة! لقد لقينا يوم الرَّبَذَة ما لا يُوصف.

[قلت:] وكان الحجَّاج يُعيَّر بذلك اليوم؛ ولَّى الحجاجُ خالدَ بنَ عتَّابِ بنِ ورقاء التميميّ ـ وكنيتُه أبو سليمان ـ الرَّيّ، وكانت أمُّه أمَّ ولد، وكان خالد قد حلف لا يسبُّ أمَّه أحدٌ إلا سبَّ أباه[٤] كائناً من كان، فكتب إليه الحجَّاجُ يَلْخَنُ أمَّه[٥] ويقول له: أنتَ

(١) ينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٢٢ـ٣٢٤، و«تاريخ دمشق» ٤/ ١٩٥ (مصورة دار البشير).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) ولم أقف عليه في طبقات» ابن سعد.

(٣) ينظر المصدران السابقان، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٦١١ـ٦١٢.

(٤) في (خ) (والكلام منها فقط): أبيه. وأثبتُّ اللفظة على الجادة.

(٥) أي قال له: يا ابن اللَّخناء، من اللَّخَن، وهو نتن الرِّيح عامَّة، وتقال في السّبّ. يقال: لَخِنَ الرجلُ ولَخِنَت المرأة، أي: أنتنت أرفاغُهما (مواضع اجتماع الوسخ من البدن).

هربتَ عن أبيك حتى قُتل [فكتب إليه خالد: كتبتَ تَلْخَنُني، وتزعم أنني فررتُ عن أبي حتى قُتل][(١)]، ولَعَمْرِي إنني ما ذهلتُ عنه إلا بعد ما قُتل، ولم أجد لي مساعداً، وأمَّا أنتَ يا ابنَ اللَّخناء المستفرمة بعَجَم الزَّبِيب؛ أخبِرْني عنك حين مررتَ أنتَ وأبوك يومَ الرَّبَذَة على جمل ثَفَال[(٢)]؛ أيُّكما كان أمام صاحِبه؟!

فقرأ الحجاج كتابه وقال: صدق:

أنـا الـذي فَـرَرْتُ يـومَ الـحَـرَّهْ [ثـم ثَـبَـتُّ كَـرَّةً بِـفَـرَّهْ]
والـشـيـخُ لا يـفـرُّ إلا مَـرَّهْ

ثم طلبه، فهربَ إلى الشام، ولم يأخذ من بيت المال درهماً.

وكتب الحجَّاج إلى عبد الملك [بما كان منه. وقدم خالد الشام، فسأل عن وزير عبد الملك]، فقيل: رَوْحُ بن زِنْباع. فأتاه حين طلعت الشمس، فقال: إني أتيتُك مستجيراً. قال: قد أجرتُك، إلا أن تكون خالداً. قال: فأنا خالد. فتغيَّر وجهُ رَوْح وقال: أَنْشُدك الله إلا خرجتَ عنّي، فإنّي أخافُ عبدَ الملك. فقال: أَنْظِرني حتى تغرب الشمس. فجعل رَوْح يُراعيها حتى خرج خالد، فأتى زُفَر بنَ الحارث، فاستجارَ به، فأجارَه، ودخل على عبد الملك بعد ما أَسَنَّ زُفَر، فقال: قد أجرتُ خالداً فقال: لا ولا كرامة. فقال: يا عبد الملك لو كنتَ تعلمُ أنَّ يدي تُطيق حَمْلَ القناة، وأن تُمسك عِنانَ الجَواد؛ لأَجَرْتَ من أجرتُ. فضحك عبدُ الملك وقال: قد أجرناه.

وأُتيَ عَتَّاب بن ورقاء بامرأةٍ من الخوارج، فقال لها: يا عدوَّة الله، ما الذي حَمَلَكِ على الخروج علينا؟ أما سمعتِ قول الله تعالى:

كُـتِـبَ الـقـتـلُ والـقـتـالُ عـلـيـنـا وعـلـى الـغـانـيـات جَـرُّ الـذُّيُـولِ

فقالت: يا عدوَّ الله، جهلُكَ بكتاب الله هو الذي أخرجني عليك[(٣)].

---

(١) ما بين حاصرتين من «تاريخ دمشق» ٥/ ٥٠٨ (مصورة دار البشير ـ ترجمة خالد بن عتاب).

(٢) الثَّفال من الدوابّ: البطيء الثقيل الذي لا ينبعث إلا كرهاً.

(٣) ينظر هذا الخبر والذي قبله في «تاريخ دمشق» ٥/ ٥٠٧ـ٥٠٨ أو «مختصره» ٧/ ٣٨٨ـ٣٨٩ ، والكلام المستدرك بين حاصرتين منهما.

ثم قدم الحَنْتَف المدينة، وتلقَّاه أهلُها، وفرحوا به [وقالوا: ما أنت إلا الحتف، لا الحَنْتَف][(١)].

وبعث ابنُ الزبير أخاه مصعباً، فضرب رقابَ الأُسارى في مصارع شهداء الحَرَّة، فيُقال: أصحاب حُبَيْش زادوا على قتلى الحَرَّة.

وجعل الحنتفُ يضربُ أعناقَهم ويقول: يا لَثَارات أهل الحَرَّة. وقال الحَنْتَف: مَنْ أتاني بيوسف الثقفيّ وابنهِ الحجَّاج، فله ما أراد. فسارت الخيلُ في آثارهما، فلم تدركهما.

ودعا أهلُ المدينة؛ الرجالُ والنساءُ والصبيان للحَنْتَف وقالوا: شفيتَ الصدور. وسار الحَنْتَف إلى مكة[(٢)].

وقيل: إن الذي قتل حُبَيْش بن دُلَجَة يزيدُ بن سِيَاه [الأسواري؛ رماه بنُشَّابة فقتله، فلما دخلوا المدينة؛ وقف يزيد بن سِياه] على بِرْذَوْن أشهب، وعليه ثياب بياض، فاسودَّ البِرْذَوْن والثياب ممَّا طرح عليه الناس من الطِّيب، ومسحُوا بأيديهم[(٣)].

وفيها قُتل نافع بنُ الأزرق الخارجيّ، وكانت شوكةُ الخوارج قد اشتدَّت[(٤)] لأنه كان قد وقع الخلاف بين الأزد وتميم والقبائل بسبب قتل مسعود بن عمرو، فقصد نافع البصرة، فلم يظفر منها بشيء، فسار إلى الأهواز، فأرسل إليه أهل البصرة مسلمَ بنَ عبيس، فالتقوا بمكان يقال له: دَوْلَاب[(٥)]، فاقتتلوا قتالاً لم يُرَ مثلُه، فقُتلَ مسلمُ بنُ عبيس [و] نافعُ بنُ الأزرق، فأمَّرت الخوارجُ عليهم عبد الله بنَ الماحوز، وأمَّر أهلُ البصرة عليهم الحجَّاج بن باب الحميري، فأقاموا أياماً يقتتلون، وجاءت الخوارجَ نجدةٌ، فانهزمَ أهلُ البصرة بعد قتالٍ شديد، وجاء الفَلُّ[(٦)] إلى البصرة، فخاف أهلُها.

---

(١) أنساب الأشراف ٥/ ٣٢٦. وما بين حاصرتين من (م).

(٢) ينظر المصدر السابق ٥/ ٣٢٦ـ٣٢٧، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٦١٢.

(٣) تاريخ الطبري، وما بين حاصرتين منه.

(٤) اقتصر كلام هذه الفقرة في (م) على لفظ: وفيها قُتل نافع بن الأزرق الخارجي، وكان شوكةَ الخوارج، وكانوا قد اشتدُّوا بالبصرة، وكان قد قتل بمكان يقال له: دولاب.

(٥) يطلق هذا الاسم على أكثر من موضع، والمراد به هنا قرية بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ. ذكره ياقوت في «معجم البلدان» ٢/ ٤٨٥، وذكر أن المحدثين يقولون: دُولاب، بضم الدال، وقال: وقد رُوي بالفتح.

(٦) أي المنهزمون (وتقال هذه اللفظة للواحد والجمع). (وزدتُ الواو السالفة بين حاصرتين لضرورة السياق).

ثم قصدت الخوارجُ البصرة، فبينما هم كذلك؛ إذ قدم المهلَّب بنُ أبي صُفْرة من عند عبد الله بنِ الزُّبير بعهده على خُراسان، فقال الأحنفُ بنُ قيس للحارث بن عبد الله ابن أبي ربيعة: واللهِ ما لهم غيرُ المهلَّب. فكلَّموه في ذلك، فقال: هذا عهدُ ابنِ الزُّبير معي على خُراسان، ولم أكن لأَدعَ أمرَه.

فاتَّفق الأحنفُ والحارثُ والأشرافُ على أن يفتعلوا كتاباً على لسانِ ابنِ الزُّبير يأمرُه فيه بقتال الخوارج. فكتبوه، وفيه:

أمَّا بعد، فإن الحارثَ بن عبد الله كتب إليَّ يُخبرُني أنَّ الأزارقة أصابُوا جنداً من المسلمين، وأنهم قد أقبلوا نحو البصرة، وكنتُ قد وجَّهْتك إلى خُراسان وكتبتُ عهدك، وقد رأيتُ أن تتولَّى قتالَ الخوارج، فإنَّ الأجر فيه أعظمُ من مسيرك إلى خراسان.

فلما قرأ المهلَّب الكتاب قال: واللهِ لا أسيرُ إليهم حتى تجعلُوا لي ما غلبتُ عليه، وتُقوُّوني من بيت المال، وأنتخبُ من فرسانكم ووجوهِكم مَنْ شئتُ. فأجابُوه إلا طائفة من بكر بن وائل ومالك بن مسمع، فحقَدَها عليهم المهلَّب.

وسار إلى الخوارج، فخندَقَ عليه واحترزَ، فلم يظفروا منه بشيء، فكانَ أشدَّ عليهم من جميع مَنْ قاتلَهم، ولم يزل يقاتلُهم ويظهرُ عليهم حتى انهزموا مقتولين مسلوبين إلى أرض كَرْمان، ونواحي أصبهان[1].

وأقام المهلَّب بالأهواز حتى عُزل الحارثُ بنُ عبد الله ـ المعروف بالقُبَاع ـ عن البصرة، وجاء مصعبُ بنُ الزبير عاملاً عليها، وبلغَ ابنَ الزُّبير أنَّ أهل البصرة افتعلوا ذلك الكتاب، فلم يقل شيئاً، وسُرَّ بقتل الخوارج وهزيمتهم إلى كَرْمان، وكتبَ إلى المهلَّب فشكره.

ولما هزم المهلَّبُ الأزارقة كتب إلى الحارث كتاباً يخبره فيه بما جرى، وبدأ باسم الحارث، فقال: للأمير الحارث من المهلَّب.

---

(١) ينظر الخبر مفصلاً في «أنساب الأشراف» ٦/ ٢٥٢ـ٢٧٠ ، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٦١٣ـ٦١٩ .

فكتب إليه القُباع: أمَّا بعد، فقد وصلَني كتابُك يا أخا الأزد تذكرُ فيه نصر الله إيَّاك وظَفَرك بالقوم، فهنيئاً لك يا أخا الأزد بشرف الدنيا وعزِّها وثواب الآخرة، والسلام عليك.

فلما قرأ المهلَّب كتابَه ضحك ثم قال: أتُراه ما يعرفني إلا بأخي الأزد؟ ما أهل مكة إلا أعراب[١]!

وكان الوقعة بينهم بمكان يقال له: سِلَّى وسِلِّبْرَى[٢] في ثلاثين ألفاً، والخوارج في اثني عشر ألفاً، فقتل من الخوارج تسعة آلاف[٣]، وانهزم الباقون.

وفيها ولَّى مروان ابنَه محمداً الجزيرة[٤].

وفيها عزل عبد الله بنُ الزبير عبدَ الله بن يزيد الخَطْميّ عن الكوفة، وولَّاها أخاه مصعباً.

وكان سببُ عزله أنَّه خطبَ الناس، فقال: قد رأيتُم ما صنع اللهُ بقوم ثمود في ناقة[٥] قيمتُها خمس مئة درهم. فسمِّي مقوِّمَ الناقة. وبلغ ابنَ الزبير، فقال: إنَّ هذا لهو التكلُّف.

وفيها خالفَ مَنْ كان بخُراسان من بني تميم عبدَ الله بنَ خازم.

وسببُه أن بني تميم أعانوه على من كان بها من ربيعة حتى صفت له خُراسان، فجفاهم بعد ذلك، فحاربوه، وجرت بينهم حروبٌ كثيرة[٦].

وفيها مات مروان بن الحكم، وولِيَ ابنُه عبدُ الملك[٧].

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٦٢٠ . وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٢٦٩ .

(٢) لم تجوّد اللفظتان في (خ) (والكلام منها): وهما معاً لموضع واحد من نواحي خوزستان قرب جنديسابور، وهي مَنَاذر الصغرى، ذكرها ياقوت في «معجمه» ٣/ ٢٣٢ ، وذكر فيها الوقعة بين الخوارج والمهلّب.

(٣) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٦٢٢ ، و«معجم البلدان» ٣/ ٢٣٢ : سبعة آلاف.

(٤) تاريخ الطبري ٥/ ٦٢٢ .

(٥) كذا في (خ) (والكلام منها)، وثمود قوم صالح، وعبارة الطبري (والكلام فيه) ٥/ ٦٢٢ : بقومٍ في ناقة.

(٦) تاريخ الطبري ٥/ ٦٢٣ .

(٧) المنتظم ٦/ ٣٨ . وينظر خبر تولية مروان لابنه عبد الملك في «تاريخ» الطبري ٥/ ٦١٠ .

الباب الخامس

في ولايةِ عبد الملك

وكنيتُه أبو الوليد، وأبو مروان[١]، وكان يُلَقَّبُ بِرَشْحِ الحَجَر؛ لبُخله[٢]، وأبا الذِّبَّان؛ لِبَخَرِه[٣]، فإنه لم يكن أحد يستطيع أن يدنوَ منه حتى يجعلَ على فيه منديلاً.

[وحكى ابنُ عساكر عن مصعب الزُّهري قال: سمَّى مروانُ ابنَه عبدَ الملك القاسمَ، وكان يُكنى به، فلما بلغه النهي؛ حوَّل اسمه، فسمَّاه عبدَ الملك، وكنَّاه أبا الوليد. قال: هو أوَّلُ من سَمَّى في الإسلام عبدَ الملك][٤].

وأمُّه عائشة بنت معاوية بن المغيرة[٥] بن أبي العاص بن أمية [بن عبد شمس].

ومعاوية هذا هو الذي جَدعَ أنفَ حمزة رضي الله عنه [يومَ أُحُد وهو قتيل][٦]

وُلد عبد الملك سنة ثلاث وعشرين، وقيل: سنة ستّ وعشرين، ووُلدَ لستة أشهر، وقيل: لسبعة، وقيل: لأربعة.

ولما وَلِيَ الخلافة دخل عليه عُبيد الله بن ظَبْيان، فقال له عبد الملك[٧]: ما هذا الذي يقول الناس فيك؟ قال: وما يقولون؟ [قال: يقولون:] إنك لا تشبه أباك. فقال عُبيد الله: [واللهِ لَأَنا أشبهُ به من الماء بالماء، والغراب بالغراب، ولكنْ أَدُلُّك على مَنْ لم يُشبه أباه. قال: مَنْ هو؟ قال:] مَنْ لم تُنْضِجْه الأرحام، ولم يولد لتمام، ولم يشبه

---

(١) في (م): قال علماء السير ممن سمّينا: كان يكنى أبا الوليد وقيل: أبو مروان.

(٢) لأن الحجر لا يرشحُ الماء إلا نادراً.

(٣) البَخَر ـ بالتحريك ـ النَّتن في الفم وغيره.

(٤) ينظر «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٢٤٢ (طبعة مجمع دمشق) والكلام بين حاصرتين من (م).

(٥) في (م): معاوية بن حُديج بن المغيرة. وهو خطأ. وينظر: طبقات ابن سعد ٧/ ٢٢١، ونسب قريش ص ١٦٠، وتاريخ دمشق ٤٣/ ٢٤٢ و٢٤٥ (طبعة مجمع دمشق).

(٦) ما بين حاصرتين من «أنساب الأشراف» ١/ ٤٠١. وقوله: ومعاوية هو الذي جدع...إلخ تحرَّف في (م) إلى قوله: وقيل: إن معاوية هو حُديج. وينظر أيضاً «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٠٠.

(٧) في (خ) (والكلام منها): دخل عليه عَبْد الله بن ظبيان، فقال له عبد الله. وهو خطأ. وعُبيد الله بن ظبيان هو عُبيد الله بن زياد بن ظبيان.

الأخوال والأعمام. وعنى به عبدَ الملك. فقال عبد الملك: ومَنْ ذاك؟ قال عُبيد الله: ابنُ عمّي سُويد بن منجوف. فسكتَ عبدُ الملك[١].

[ذكر بيعته وما يتعلق بها

قال علماء السِّير:]

وبُويع أول يوم من رمضان عند وفاة أبيه بعهدٍ منه[٢].

[وقال ابن عائشة:] ولم يكن بالمدينة شابٌّ أورعَ منه، ولا أنسك ولا أفقه ولا أكثر صلاةً وعبادة، وكان يسمَّى حمامةَ المسجد[٣]. وجاءَتْه الخلافةُ والمصحفُ في حِجْره، فأطبقه وقال: هذا فراقُ بيني وبينِك، هذا آخِرُ العهد بك[٤].

[وقال عمر بن شبَّة:] جهَّز يزيد بن معاوية جيشاً لقتال ابن الزُّبير إلى مكة، فنفضَ عبدُ الملك ثوبَه واستعاذ بالله ثلاثاً، وقال: أتبعثُ جيشاً إلى حرم الله يُقاتلُ ابن حواريّ رسول الله ﷺ؟! فضرب يوسف اليهوديُّ صدرَه وقال: لِمَ نَفَضْتَ ثوبَك؟! الجيشُ الذي تُسيِّرُهُ أنتَ أعظم[٥]!

ووقع من عبد الملك فَلْس في بئر الحُشّ[٦] قبل أن يليَ الخلافة، فاكترى مَنْ أخرجه بثلاثة عشر ديناراً، فقيل له في ذلك، فقال: كان عليه اسم الله تعالى.

وقد كان أسرع إليه الشيب، فقيل له في ذلك، فقال: وكيف لا يُسرع [إليَّ] الشيبُ وأنا أعرضُ عقلي على الناس في كل جمعة. يعني الخطبة[٧].

---

(١) أنساب الأشراف ٦/ ٣١٧، والعقد الفريد ٤/ ٣١ـ٣٢ (وما بين حاصرتين منه). وينظر «مجمع الأمثال» ١/ ٣٨٦، و«المستقصى في أمثال العرب» ١/ ١٨٨، و«تاريخ دمشق» ٦٧/ ٣٥٧ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة مصعب بن الزبير).

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٢٣، وأنساب الأشراف ٦/ ٣٠٠، ومروج الذهب ٥/ ٢٠٩، وتاريخ دمشق ٤٣/ ٢٥٦ و٢٥٧ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة عبد الملك). وما سلف وسيرد بين حاصرتين من (م).

(٣) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٠٨، و«المنتظم» ٦/ ٣٩.

(٤) ينظر «تاريخ بغداد» ١٢/ ١٢٧ـ١٢٩، و «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٢٤٧ـ٢٤٨ و٢٥٦ (الطبعة المذكورة).

(٥) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٥٥.

(٦) أي: الكنيف. وفي (م): الحشى. والخبر في «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٢٦٧ وفيه: في بئر قذرة.

(٧) المصدر السابق ٤٣/ ٢٦٦.

وكان معاوية جعله على ديوان المدينة مكان زيد بن ثابت وهو ابن ستَّ عشرةَ سنة[١].

وكان له يوم حُصر عثمان رضي الله عنه ثلاث عشرة سنة، وقيل: عشر سنين.

[وقال أبو اليقظان:] وكان عبد الملك حازماً فهماً فطناً ممارساً للأمور، لا يكل أمره إلى غيره[٢].

قال مالك بن عُمارة بن عقيل: كنت أجالس عبدَ الملك بن مروان بفِناء الكعبة وهو صبيّ، فقال لي يوماً: يا مالك، إنْ عشت، فسترى الأعناقَ إليَّ مائلةً، والآمالَ نحوي سامية، فإذا كان ذلك، فما عليك أن تجعلني لرجائك باباً، ولأمَلِك سبباً؟ فوالله لأملأنَّ يديك مني عطيَّة، ولأكسونَّك مني نعمة.

ومضى على هذا دهر، فلمَّا أفضت الخلافةُ إليه؛ رجعت من مكة إلى دمشق، فأقمتُ ببابه أسبوعاً لم أصل إليه، فلما كان يومُ جمعة؛ خرج إلى المسجد، فخطبَ، فأقبلتُ عليه بوجهي، فأعرض عنّي، أفعلُ ذلك مراراً، فعزَّ عليَّ، فلما انصرفَ من صلاته إذا برجل قد دخلَ المسجد فقال: أين مالك بنُ عُمارة؟ قلت: ها أنا ذا. فقال: أجِبْ أميرَ المؤمنين.

فدخلتُ وسلَّمتُ عليه، فردَّ، وأدناني حتى أجلسني معه على سريره، ثم سألني عن أهل مكة، وعن أهلي، ثم قال: لعلك ساءك ما رأيتَ منّي؟ قلت: نعم. قال: لا يَسُوءُك، فإنَّ ذلك مقامٌ لا يُسمع فيه إلا ما رأيتَ، وههنا قضاء حقِّك.

ثم أمر، فأُخْلِيَ لي منزلٌ إلى جانب قصره، وأُقيم لي فيه جميعُ ما أَحتاجُ إليه، وكنتُ أحضرُ عنده غداءه وعشاءه، فمللتُ من المقام، وتبيَّن فيَّ ذلك، فقال: لعلك اشتَقْتَ إلى أهلك؟ قلت: نعم، فقد وغرتُ[٣] عليهم الأوبة. فقال: يا غلام، عليَّ بعشر بِدَر،

(١) أنساب الأشراف ٦/ ٣٠١، والمعارف ص ٣٥٥.

(٢) ينظر «البداية والنهاية» ١٢/ ٣٨١ـ٣٨٢. وما سلف بين حاصرتين من (م).

(٣) كذا في (خ) (والكلام منها): ولعلها: وعَرْتُ، أي: حبستُ. وفي أصول «تاريخ دمشق» ٦٦/ ١٣٣ (كما في حاشيته ـ طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة مالك بن عمارة): وعدت إليهم.

وعشرة أسفاط من دقّ مصر[١]، وعشرة غلمان، وعشر جَوارٍ، وعشرة أفراس، وعشرة أبغل، وعشر نُوق. فأُحْضرَ الجميع، فقال: يا مالك، أتَراني وفَّيْتُ لك؟ فقال: وإنك ذاكرٌ ذلك؟! فقال: وما خيرٌ فيمن لا يذكرُ ما وعدَه، وينسى[٢] ما أوعدَ به، واللهِ لم يكن ذلك لشيءٍ رويناه، ولا خَبَرٍ سمعناه[٣]، ولكنّي تخلَّقتُ به في الصِّبا، فكنتُ لا أُسَاري ولا أُماري، ولا هتكتُ ستراً حظره الله عليّ، وكنتُ أعرِفُ للأديب حقَّه، وأُكرمُ العالِم لعلمه، فرفع اللهُ درجتي، وأرجو أن يُلحقَني بالصالحين، فإنْ أقمتَ عندنا؛ فبالرُّحْب والسَّعَة، وإنْ رحلتَ؛ ففي الحفظ والدَّعَة.

[وذكره المسعودي[٤] وقال:] جاءه في ليلة واحدة مقتلُ عُبيد الله بن زياد ومن كان معه، ومقتلُ حُبَيْش بن دُلَجة، وكان على جيش المدينة، ودخولُ ناتل بن قيس الجُذامي فلسطين من قبل ابن الزبير، وخبرُ ملك الروم لاوى أنه نزل المِصِّيصة يريد الشام، ونزول [مصعب] بن الزُّبير[٥] فلسطين، وأن عَبِيد دمشقَ وأوباشَها نزلوا على أهلها وفتحوا السجون، وأخرجوا من كان بها، وأن العربَ أغارت على حمص وبعلبكّ والبقاع، وغير ذلك ممَّا نُمِيَ إليه من مفظّعات الأمور، فلم يُرَ عبد الملك في ليلة قبلها أشدَّ ضحكاً، ولا أحسنَ وجهاً، ولا أبسطَ لساناً، ولا أثبت جَناناً منه في تلك الليلة تجلُّداً وسياسة للملك[٦]، وتركاً لإظهار الفشل.

[وسنذكر سيرته مفرّقة في الكتاب]

ذكر صفته:

كان أبيض أشهل، وقيل: أسمر، وكان مفتوح الفم، مُشَبَّك الأسنان بالذهب، لم يغيِّر شيبه، وقيل: إنه خضب، ثم ترك[٧].

---

(١) هي ثياب من الكتّان الخالص. ينظر «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» ص ٥٣٠.

(٢) كذا في (خ) (والكلام منها) و«تاريخ دمشق» ٦٦/ ١٣٣. والجادّة: ولا ينسى.

(٣) في «تاريخ دمشق»: «لم يكن ذلك عن شيءٍ سمعناه ولا خبر رويناه». وهو أشبه.

(٤) في «مروج الذهب» ٥/ ٢٢٤ـ٢٢٥. والكلام بين حاصرتين من (م).

(٥) في (خ) (والكلام منها): ونزل ابن الزبير، وأثبتُّ من اللفظ ما يناسب الرسم، مع استدراك اسم «مصعب» للإيضاح، وعبارة المسعودي: ومسير مصعب بن الزبير من المدينة إلى فلسطين.

(٦) في «مروج الذهب»: للملوك.

(٧) ينظر «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٢٤٦ (طبعة مجمع دمشق).

وحجَّ في هذه السنة بالناس ابنُ الزبير، وكان على المدينة مصعبُ بنُ الزُّبير، وعلى الكوفة عبدُ الله بنُ مُطيع، وكان على البصرة القُبَاع[١]، وعلى قضائها هشام بنُ هُبيرة، وعلى خُراسان عبدُ الله بن خازم[٢].

وفيها توفي

جميل بن عبد الله بن معمر[٣]

العُذْريّ، أبو عبد الله [صاحب بُثَيْنَة][٤].

وبُثَيْنة بنتُ حُبَيّ[٥] بن ثعلبة العُذْري، لأبيها صحبة، وكنيتُها أمّ عبد الملك، وقيل غير ذلك.

وكان جميل قد هَوِيَها من الصغر، فلما بلغَ خَطَبها إلى أهلها، فلم يزوِّجوه، فهام بها، وقال فيها الأشعار، [وشبَّب بها.

ذكر طرف من أخبارها:

ذكرها ابن الكلبي وغيره وقالوا:] كانت بُثينة تسكن بوادي القُرى، وكان جميل يزورها، ونَذِرَ به[٦] أهلُها، وأرادوا قتله، فهَجَاهم، فاسْتَعْدَوْا عليه مروان [بن الحكم] وهو والي المدينة [لمعاوية بن أبي سفيان] فقال: واللهِ لأقطعنَّ لسانَه، فقال جميل [لما بلغه الخبر]:

---

(١) هو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٦٢٢ـ٦٢٣ .

(٣) وكذا أورده ابن الجوزي في «المنتظم» ٦/ ٤٢ فيمن توفي في هذه السنة (٦٥) وأغلب المصادر ذكرت أنه مات سنة (٨٢).

ووقع في (خ): جميل بن معمر بن عبد الله، وهو خطأ، واقتصر في (م) على قوله: جميل العذري.

(٤) أضفتُ ما بين حاصرتين من عندي من أجل السياق.

(٥) كذا في (خ) و(م)، وكذا في «الإكمال» ١/ ١٨٥ ، و«تاريخ دمشق» ص ٦٤ (طبعة مجمع دمشق ـ تراجم النساء). لكن جاء في صدر ترجمتها فيه: بُثينة بنت حبا. وفي «الإصابة» ٢/ ٣٠٩ : حَيّ. ووقع في «الأغاني» ٨/ ٩٢ : حباً.

(٦) أي: علم به. ووقع في (م): ودرت.

أتـانـيَ عـن مـروانَ بـالـغـيـب أنـه مُـقِـيـدٌ دمـي أو قـاطـعٌ مـن لِـسـانِـيـا
ففي العِيس مَنْجاةٌ وفي الأرض مهربٌ إذا نـحـن رفَّـعْـنـا لـهـنَّ الـمـثـانـيـا[1]

ولحقَ بجُذام، فأقام عندهم حتى عُزل مروان.

ووفدَ على عبد الملك بن مروان، وكان من فحول الشعراء، وهو معدودٌ في طبقاتهم.

[وله مع سُكينة بنت الحسين عليه السلام واقعة، وكان يَقْدَمُ عليها، ويَقْرِضُ شِعره مع جملة الشعراء، وكانت تُفضّله عليهم. وسنذكره في ترجمتهما][2].

ولم يزل هائماً ببُثينة إلى أن مات في هذه السنة من حبِّها. وقيل: تأخَّرت وفاتُه عن ذلك.

ولم يمدح قطّ أحداً[3]؛ خرج مع الوليد بن عبد الملك في سفر، فقال له [الوليد]: انزل فارْجُزْ. ظنّاً منه أنّه يمدحُه، فنزل وقال:

أنـا جـمـيـلٌ فـي الـسَّـنـام مـن مَـعَـدّ فـي الـذّروة الـعَـلـيـاء والـرُّكـنِ الأَشَـدّ

فقال له الوليد: اركَبْ لا ركبتَ[4].

[قالوا: وهذا كان في حجّ الوليد بعد الثمانين، فإن صحَّت هذه الرواية، فقد عاش إلى أيام الوليد.

وذكر الخرائطي في «اعتلال القلوب»[5] ـ وقد تقدم إسنادُنا إليه ـ قال: حدثنا الحسن بن علي،] قال المُثَنَّى بنُ سعيد الجُعْفي: إنّ كُثيِّر عَزَّة لقيَ جميلاً، فقال: متى

(١) الشعر والشعراء ١/ ٤٣٥ . وينظر «الأغاني» ٢٢/ ١٥٣ (أخبار جوّاس بن قطبة). وما سلف بين حاصرتين في هذه الفقرة من (م).

(٢) ينظر «تاريخ دمشق» ص ١٦٣ و١٦٩ (طبعة مجمع دمشق ـ تراجم النساء ـ ترجمة سُكينة). والكلام بين حاصرتين من (م).

(٣) في (م): قال هشام: لم يمدح جميل أحداً قطّ.

(٤) ينظر «الأغاني» ٨/ ١٣٣ ، و«تاريخ دمشق» ٤/ ٩ (مصورة دار البشير)، أو «مختصره» ٦/ ١١٣ .

(٥) ص٢٦٢ . وأخرجه من طريقه ابن عساكر في «تاريخه»٤/ ١٣(المصورة المذكورة) وهذا الكلام بين حاصرتين من(م).

عهدُك ببُثَيْنَة؟ قال: منذ عام أوّل؛ لقيتُها بوادي الدَّوْم تغسل ثوباً. فقال له كُثَيِّر: أتحبُّ أنْ تلقَاها الليلة؟ قال: نعم. وقد كان كُثيِّر عند أهلها، فرجع إليهم، فقال له أبوها: ما ردَّك؟ قال: بيتان قُلتهما في عَزَّة[١].

[قال: وما هي؟ فقال كُثيِّر يشير إلى بُثَيْنَة؟]:

فقلت لها يا عَزَّ أُرسِلُ صاحبي ... إلى باب داري والرسولُ مُوَكَّلُ
أَمَا تذكرينَ العهدَ يومَ لَقِيتُكمْ ... بأسفل وادي الدَّوْمِ والثوبُ يُغسَلُ

وسمعَتْه بُثَيْنَة، فقالت: اخْسَ اخْسَ. فقال أبوها: ما هاجكِ يا بُثَيْنَة؟ فقالت: كلبٌ لا يزالُ يأتينا من وراء هذا الجَبَل بالليل وأنصاف النهار [فرجع إليه كُثَيِّر وقال: قد وعَدَتْك يا ذا من وراء هذا الجبل في الليل وأنصاف النهار] فالْقَها إذا شئت[٢].

ومات بالشام، وقيل: بمصر؛ قال عبَّاس[٣] بن سهل الساعديّ: بينا أنا بالشام إذْ لَقِيَني رجلٌ، فقال: هل لك في جميل بن معمر؟ فإنه ثقيل، لنعوده. قلت: نعم. فدخلنا عليه وهو يجودُ بنفسه، فنظر إلى عبَّاس وقال: يا ابنَ سهل، ما تقول في رجل لم يشربِ الخمر قطّ، ولم يَزْنِ، ولم يقتُل نفساً، وهو يشهدُ أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسولُ الله؟ فقال: أظنُّ أنه نجا، وأرجو له الجنة [ـ أو: وأدخله الله الجنة ـ][٤] مَنْ هذا الرجل؟ فقال جميل: أنا. فقال: والله ما أظنُّك سلمتَ وأنتَ منذ عشرين سنةً تُشَبِّبُ ببُثَيْنَة. فقال والموتُ يَكْرُبُه: لا نالَتْني شفاعةُ محمد ﷺ يومَ القيامة إن كنتُ وضعتُ يدي عليها لريبة قطّ، [وأنا في أول يوم من أيام الآخرة. ومات.

وقد ذكرها المدائني عن ابن سهل بن سعد الساعدي، وزاد في آخرها:] وإنَّ أكثر ما نلتُ منها أني كنتُ آخذُ يدَها، فأضعُها على قلبي فأستريح. فهذا آخرُ وقتٍ من أوقات الدنيا، وأوَّلُ وقت من أوقات الآخرة.

---

(١) بعدها كلمتان في (خ) غير واضحتين. والكلام بعده بين حاصرتين من (م).

(٢) تاريخ دمشق ٤/ ١٣ـ١٤ (مصورة دار البشير) أو «مختصره» ٦/ ١١٣ـ١١٤. وينظر منه أيضاً جزء تراجم النساء ص٦٧. والكلام السالف بين حاصرتين من (م).

(٣) عبارة (م): ذِكرُ وفاته: واختلفوا في أيّ مكان مات على قولين، أحدهما بالشام، والثاني: بمصر. فأما من قال بالشام؛ فيحتجّ بما روى الخرائطي أيضاً عن عباس... والخبر في «اعتلال القلوب» ص ١٠١. وأورده ابن قُتيبة في «الشعر والشعراء» ١/ ٤٤٠ فقال: عن سهل بن سعد الساعدي أو ابنه عبّاس.

(٤) ما بين حاصرتين من (م)

[وفي رواية المدائني أيضاً ما يدلُّ على أنه مات بمصر؛ لأنه زاد في الحكاية] .

قال المدائني: ثم أُغمي عليه وأفاق فقال:

بَكَرَ النَّعِيُّ وما كَنَى بجميلِ ... وثَوَى بمصرَ ثواءَ غيرِ قُفُولِ

قُومي بُثينةُ فاندُبي بعويلِ ... وابكي خليلَكِ قبل كلِّ خليلِ

وأشار جدِّي في «المنتظم» إلى أنه مات بمصر، فقال: لما احتُضر جميل بمصر قال: من يُعلم بُثينة؟ فقال رجل: أنا. فلما مات؛ خرج الرجلُ بعد موت جميل، فسافر حتى قدمَ حيَّ بني عُذْرَة، وأتى ذلك الرجلُ إلى حيِّ بُثَيْنَة، فأنشد البيتين: بَكَرَ النعيّ... فلما فرغ منها[1]؛ خرجت بُثينة مكشوفة الرأس تقول:

وإنَّ سُلُوِّي[2] عن جميلٍ لَساعةٌ ... من الدهر ما حانَتْ ولا حانَ حينُها

سواءٌ علينا يا جميلُ بنَ معمرٍ ... إذا مِتَّ بَأْساءُ الحياةِ ولِينُها[3]

[وقال ابنُ قُتيبة: سافر إلى مصر، فمات بها.

واختلفوا في أيّ سنة مات على قولين: أحدُهما: في سنة خمس وستين. والثاني: أنه عاش إلى سنة اثنتين وثمانين].

وقال العسكريّ: [من] الشعراء ثلاثة يُدعون جميلاً؛ أحدهم هذا، والثاني: جميل ابن المعلَّى بن فَزارة، وهو القائل:

وأُعرِضُ عن مَطاعِمَ قد أراها ... فأتركُها وفي قلبي انطواءُ

فلا واللهِ ما في العيشِ خيرٌ ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياءُ

والثالث: جميل بن سِيدَان الأسدي، وهو القائل:

أَيَا جُمْلُ هَلْ دَيْنٌ مُؤدًّى لِحينِهِ ... فقد حَلَّ ذاك الدَّيْنُ واحْتَاجَ طالِبُهْ

---

(١) من قوله: وأشار جدّي في «المنتظم»... إلى هذا الموضع من (م) ووقع بدله في (خ) بعد البيتين السابقين لفظ: «فلما مات جاء رجل إلى حي بُثينة وأنشد البيتين، فلما فرغ منها...» وآثرت إثبات لفظ (م) للفائدة، وما سبق بين حاصرتين منها. والخبر في «المنتظم» ٦/ ٤٥ـ٤٦ .

(٢) في (م): سألوني، وهو تحريف.

(٣) ينظر «الشعر والشعراء» ١/ ٤٤٢ ، و«الأغاني» ٨/ ١٥٤ ، و«تاريخ دمشق» ص ٦٨ـ٦٩ (تراجم النساء ـ طبعة مجمع دمشق). قال ابن عساكر في بيتَيْ بُثينة: يقال: إنها لم تقل غيرهما.

وطالَتْ به أحلامُه إنْ قَضَيْتِهِ ... وظَلَّ بما مَنَّيْتِ يلمعُ حاجِبُهْ
أَجِدِّي وِصالاً أو أَبِينِي صَرِيمةً ... فأكرمُ أن لا يَكْذِبَ المرءَ صاحِبُهْ[1]

وقال جميل بن معمر في «الحماسة»[2]:

فليتَ رجالاً فيكِ قد نَذَرُوا دمي ... وهَمُّوا بقَتْلِي يا بُثَيْنُ لَقُوني
إذا ما رأَوْني طالعاً من ثَنِيَّةٍ ... يقولون مَنْ هذا وقد عرفوني
يقولون لي أهلاً وسهلاً ومَرْحباً ... ولو ظفروا بي ساعةً قتلوني
فكيف ولا توفي دماؤهمُ دمي ... ولا مالُهم ذو كَثْرةٍ فيَدُوني[3]

معناه: ليس في دمائهم كلِّها وفاء بدمي؛ لأني خطير[4] شريف، وكان دية الشريف في الجاهلية ألفاً من الإبل؛ إلى أنْ نحرَ عبدُ المطَّلب المئة من الإبل عن ولده [عبد الله] فتقرَّر الأمر على ذلك.

وفيها يقول:

لَحَى اللهُ مَنْ لا ينفعُ الوُدُّ عندَه ... ومَنْ حَبْلُهُ إنْ مُدَّ غيرُ مَتِينِ
ومَنْ هو إنْ تُحْدِثْ له العينُ نظرةً ... يُقَضِّبْ لها أسبابَ كلِّ قَرِينِ
ومَنْ هو ذُو لونينِ ليس بدائمٍ ... على خُلُقٍ خَوَّانُ كلِّ أمينِ[5]

[والأبيات في ديوان جميل، وديوانُه مشهور، ومن شعره:]

حَلَّتْ بُثَيْنَةُ من قلبي بمنزلةٍ ... بينَ الجوانحِ لم يَحْلِلْ بها أحدُ
وعاذلين لَحَوْني في محبَّتِها ... يا ليتَهم وجدُوا مثلَ الذي أجدُ
لما أطالوا عتابي فيكِ قلتُ لهمْ ... لا تُفْرِطُوا. بعضَ هذا اللوم، واقْتَصِدُوا
قد مات قبلي أخو هند وصاحبُهُ ... مُرَقِّشٌ واشْتَفَى من عُرْوَةَ الكَمَدُ
وكلُّهُمْ كان في عِشْقٍ مَنِيَّتُهُ ... وقد وَجَدْتُ بها فوق الذي وَجَدُوا

(١) ينظر «المؤتلف والمختلف» للآمدي ص ٩٧ـ٩٨ ، و«شرح الحماسة» للتبريزي ١/ ١٧٠ .
(٢) في (م): ومن أبيات جميل في بُثينة.
(٣) ينظر «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ١/ ٣٢٤ـ٣٢٥ .
(٤) في (م): لا خطر. بدل: لأني خطير (؟).
(٥) ينظر «شرح ديوان الحماسة» للتبريزي ١/ ١٧٠ . قوله: يُقَضِّب، أي: يُقَطِّع.

إنِّـي لَأَحْـسِـبُـنـي أو كِـدْتُ أعـلـمُـهُ أنْ سوف تُوردُني الحوضَ الذي وردوا[١]

وقال أيضاً:

فيا وَيْحَ نفسي حَسْبُ نفسي الذي بها ويا وَيْحَ أهلي ما أُصِيبُ به أهلي
ولو تركتْ عقلي معي ما طَلَبْتُها ولكنْ طِلَابِيها لِمَا فاتَ من عقلي
خليليَّ فيما عِشْتُما هَلْ رَأَيْتُما قتيلاً بكى من حُبِّ قاتِلِهِ مثلي[٢]

[وقال ابن عساكر: روى جميل الحديث عن رسول الله ﷺ، وإسنادُه عن أنس بن مالك. فقال محمد بن راشد: قلتُ لجميل: لو قرأتَ القرآن لكان أعْوَدَ عليك من الشعر. فقال: حدثني أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ من الشِّعر لحكمة» أو: لحكماً][٣].

حُبَيْش بن دُلَجَة القَيْني

كان من وجوه أهل الشام، من أهل الأردنّ، شهد صِفِّين مع معاوية، وكان على قُضاعة[٤] الأردنّ يومئذ، وولَّاه يزيد بن معاوية على أهل الأردنّ لمَّا وجَّههم إلى أهل الحَرَّة من زِيزا[٥].

وهو أوَّلُ أمير أكلَ على منبر رسول الله ﷺ، وقتلَه حَنْتَف بن السِّجف بن سَعْد[٦] بن عوف التميمي.

وقيل: رماه يزيد بن سِياه الأسواري بِنُشَّابَة فقتله[٧]، وذلك غرَّة رمضان سنة خمس وستين، وقُتل معه عبد الله بنُ مروان، وعُبيد الله بنُ الحَكَم، وهرب الباقون[٨].

---

(١) بنحوه في «تاريخ دمشق» ٤/ ١٦ـ١٧ ، وفيه زيادة بيت، وليس فيه البيت الأول.
(٢) ينظر «الشعر والشعراء» ١/ ٤٤٣ـ٤٤٤ ، و«الأغاني» ٨/ ١٣٩ـ١٤١ .
(٣) تاريخ دمشق ٤/ ٨ . ومتن الحديث صحيح من غير حديث أنس رضي الله عنه . وهذا الكلام بين حاصرتين من (م).
(٤) في (خ) (والكلام منها): قضاء. وهو خطأ. والمثبت من «تاريخ دمشق» ٤/ ١٩٣ (مصورة دار البشير).
(٥) وزن ضِيزَى. وهي قرية من قُرى البلقاء من كورة دمشق. ينظر «معجم البلدان» ٣/ ١٦٣ و«تاريخ دمشق» ٤/ ١٩٣ (مصورة دار البشير)، و«القاموس» (زيز).
(٦) في (خ) (والكلام منها): وسعد، بدل: بن سعد، وهو خطأ وينظر «تاريخ دمشق» الوضع المذكور آنفاً.
(٧) ينظر ما سلف ص٣٢٤-٣٢٧ (ذكر يوم الرَّبَذَة).
(٨) تاريخ دمشق ٤/ ١٩٣ (مصورة دار البشير).

وكان حُبيش بن دُلَجَة جليلاً، وكان له قدم صدق عند مروان، وكان يُجلسه معه على سريره، فدخل يوماً، فرأى رَوْحَ بنَ زِنْباع موضعَه جالساً على السرير ـ وكان محمولاً لِنَقْرِسٍ كان به، ورَوْح كذلك ـ فأمر حُبَيْش حَمَلَتَهُ أن لا يضعوه، وقال: إنْ رَدَدْتُم علينا موضعنا؛ وإلا انصرفنا عنكم. فقال مروان: مهلاً فإنَّ لأبي زُرْعة ـ يعني رَوْحاً ـ مثلَ سِنِّك، وبه مثلُ علَّتك. يعني النَّقْرِس. فقال حُبَيْش: أَوَلَهُ مثل يدي عندك؟ قال: وله مثلُ يدِك عندي؛ إلا أنَّ يده غير مكدَّرة بمَنّ. فقال حُبيش: إنّي لأظنُّك يا مروان أحمق. فقال: أظنّاً أيُّها الشيخ ظَنَنْتَه، أم يقيناً تَيقَّنْتَه؟ فقال: بل ظنّاً ظننتُه. قال مروان: فإنَّ أحمقَ ما يكون الشيخُ إذا أُعجِبَ بظنِّه[1].

سليمان بن صُرَد

ابن الجَوْن بن أبي الجَوْن عبدِ العُزَّى بن منقذ الخُزاعي، أبو المطرِّف، من الطبقة الثالثة[2] من المهاجرين.

أسلم، وصحبَ رسولَ الله ﷺ، وكان اسمُه يسار، فسمَّاه رسولُ الله ﷺ سليمان.

وكانت له سنٌّ عالية وشَرَف في قومه، فلما قُبض رسولُ الله ﷺ نزلَ الكوفة لمَّا نزلها المسلمون.

وشهد مع عليّ عليه السلام الجمل وصِفّين.

وكان فيمن كتبَ إلى الحسين رضي الله عنه يستقدمُه إلى العراق، فلما قدمَها لم يقاتل معه خوفاً من ابن زياد، وكان كثير التَّنَسُّك[3] والتوقُّف، ثم ندم بعد ذلك هو والمسيِّب بن نَجَبَة بعد قتل الحسين رضي الله عنه.

فكاتبَ أهلَ الأمصار ليقوموا معه للطلب بدم الحسين رضي الله عنه [على ما ذكرنا]، فقُتل بعين وَرْدَة، وحُمل رأسُه ورأسُ المسيّب إلى مروان [بن الحكم]، فعلّقهما بدمشق.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) في (م): ذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة... وهو في «طبقاته» ٥/١٩٦.

(٣) في «طبقات» ابن سعد ٥/١٩٦ : الشكّ. وما سيرد بين حاصرتين من (م).

وكان له يوم قُتل ثلاث وتسعون سنة. والذي حملَ رأسَه ورأسَ المسيّب رجل يقال له: أدهم بن مُحْرِزِ الباهلي[١].

وأدهم بن مُحْرز الباهلي

أحد أمراء الجيش الذين وُجِّهُوا[٢] مع ابن زياد لقتال التَّوابين بعين وَرْدَة، وهو أوَّلُ مولود وُلد بحمص، وفُرض له بها، وشهد صفِّين مع معاوية، وكنيتُه أبو مالك.

ولـمَّا قدم على عبد الملك بِبشارة الفتح بقتل سليمان بن صُرد، والمسيِّب بن نَجَبَة؛ صعد عبدُ الملك المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنَّ الله قد أهلكَ من رؤوس أهل العراق ملقح فتنة، ورأس ضلالة سليمان بن صُرَد، والمسيِّب بن نَجَبَة. ألا وإن الله قتلَ من رؤوسهم رأسين عظيمين ظالمين [عبد الله بن سعد، وعبد الله بن وال] فلم يبقَ أحدٌ منهم بعدها عنده دفاع ولا امتناع[٣]:

وقال الخطيب[٤]: دخل أدهم على عبد الملك ورأسُه ولحيتُه كالثَّغام[٥]، فقال له عبد الملك: لو غيَّرتَ هذا الشيب. فخرج من عنده، فاختضب بسواد، ثم دخل عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، قد قلتُ بيتاً، ولا أقولُ بعدَه شيئاً.

قال: هات. فقال:

ولـمَّا رأيتُ الشيبَ شَيْناً لأهله تفتَّيْتُ[٦] وابْتَعْتُ الشبابَ بدرهمِ

فضحك عبد الملك.

أسند سليمان [بن صُرَد] الحديث عن رسول الله ﷺ.

---

(١) المصدر السابق ٥/ ١٩٦ـ١٩٧ . وسلف خبر سليمان بن صُرد مطوَّلاً أوائل أحداث هذه السنة (٦٥).

(٢) في (خ) (والكلام منها): وجهوهم، والمثبت من «تاريخ دمشق» ٢/ ٦٥٨ (مصورة دار البشير).

(٣) المصدر السابق ٢/ ٦٥٩ . وما سلف بين حاصرتين منه.

(٤) أخرج ابن عساكر الخبر في «تاريخه» ٢/ ٦٥٨ـ٦٥٩ من طريق الخطيب، وليس هو في «تاريخ بغداد».

(٥) جمع ثَغَامة، وهي شجرة بيضاء الثمر والزهر، تنبت في قمة الجبل.

(٦) تَفَتَّى، أي: صار فَتِيّ، واتَّخَذَ سبيل الفتوَّة.

فمنه: [قال أحمد[١]، عن يونس، بإسناده إلى أبي عُكاشة[٢] الهمداني قال:] قال رِفاعة البَجَلي[٣]: دخلتُ على المختار بن أبي عُبيد قصرَه، فسمعتُه يقول: قام الآن من عندي جبريل. [قال:] فهممتُ أنْ أضربَ عنقَه، فذكرتُ حديثاً حدَّثَناه سُليمان بن صُرد عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إذا ائْتَمَنَكَ رجلٌ على دمه، فلا تقتله». قال: و[كان] قد ائتمنني على دمه، فكرهتُ دمَه[٤].

عبد الله بنُ عَمرو بن العاص

ابن وائل بن هاشم بن سُعَيْد بن سهم السهمي. [وكنيتُه] أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو نُصَيْر[٥].

كان فاضلاً عالماً حافظاً مجتهداً في العبادة، من الطبقة الثالثة[٦] من المهاجرين.

وكان من علماء الصحابة وعُبَّادِهم [وكان اسمُه العاص، فسمَّاه رسول الله ﷺ عبد الله[٧].

قال ابن سعد:] وأمُّه رَيْطة بنت منبّه بن الحجَّاج [بن عامر]، أسلمت يومَ الفتح، وأتَتْ رسولَ الله ﷺ، فبايَعَتْه[٨].

أسلم عبدُ الله قبل أبيه، وكان بينه وبين أبيه في السنّ اثنتا عشرة سنة، وقيل: أكثر، وقيل: سنّ البلوغ[٩].

---

(١) الكلام بين حاصرتين من (م)، وفيها: قال حدثنا أحمد، وهو خطأ. والحديث في «مسنده» (٢٧٢٠٧).

(٢) في (م) (والكلام منها): عكامس، بدل: أبي عكاشة، وهو خطأ، والتصويب من مصادر الحديث.

(٣) في (خ) و(م): الجُهَني، وهو خطأ. والتصويب من مصادر الحديث. ورفاعة الجُهَني ـ وهو ابنُ عَرَابة ـ صحابي، أما رِفاعة البَجَلي ـ وهو ابنُ شدّاد الفِتْياني ـ فتابعي. ينظر «تهذيب الكمال» ٩/ ٢٠٤ـ٢٠٧ .

(٤) ذكر المزي في «تهذيب الكمال» ٩/ ٢٠٦ أن هذه الرواية وهم، وذكر في ٣٤/ ٩٩ـ١٠٠ (ترجمة أبي عكاشة) أن المحفوظ: رِفاعة بن شداد، عن عمرو بن الحَمِق، وليس عن سليمان بن صُرَد، وهو ما أخرجه ابن ماجه (٢٦٨٨).

(٥) الاستيعاب ص ٤٢١ ، وتاريخ دمشق ٣٧/ ١٤٦ (طبعة مجمع دمشق) واستغرب ابن عبد البر الكنية الأخيرة.

(٦) في (م): وذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة... وهو في طبقات» ابن سعد ٥/ ٨٢ .

(٧) تاريخ دمشق ٣٧/ ١٥٥ (طبعة مجمع دمشق).

(٨) طبقات ابن سعد ١٠/ ٢٥٥ ، وكلُّ ما سلف بين حاصرتين من أول الترجمة من (م).

(٩) ينظر «الاستيعاب» ص ٤٢١ ، و«تاريخ دمشق» ٣٧/ ١٥٤ـ١٥٦ .

[وفي «المسند» عن عبد الله بن عمرو قال: كنتُ أكتُبُ كلَّ شيء أسمعُه من رسول الله ﷺ أُريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا: إن رسول الله ﷺ بَشَرٌ يتكلَّمُ في الغضب (والرِّضا) فأمسكتُ عن الكتابة، وذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «اكتُبْ، فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حقّ][(١)].

وكان عَبدُ الله يقول: حفظتُ عن رسول الله ﷺ ألفَ مَثَل[(٢)].

[وقال ابن إسحاق:] وكان عنده صحيفة يسمِّيها الصادقة، فيها ما سمعه من رسول الله ﷺ، وكان يقول: ليس بيني وبين رسول الله ﷺ فيها أحد.

[وقال الواقدي: كان عبد الله أحمرَ طُوالاً، عظيم البطن، لا يُغيِّر شَيْبَه، وذهب بصرُه في آخر عُمره.

وقال أبو الزاهرية: كان رسول الله ﷺ يفضّلُ عبد الله بن عَمرو على أبيه.

وقال أحمد: حدثنا هُشيم، عن حُصين بن (عبد الرحمن و)[(٣)] المُغيرة الضَّبِّيّ، عن مجاهد، عن عبد الله بن عَمرو قال: زوَّجني أبي امرأة من قريش، فلما دخلَتْ عليَّ؛ جعلتُ لا أَنْحاشُ لها، ممَّا بي من القوة على العبادة من الصوم والصلاة. فجاء أبي عمرٌو إلى كَنَّتِه، فسألها: كيف وجَدْتِ بَعْلكِ؟ فقالت: خير البُعولة، إلا أنه لم يُفَتِّش لنا كَنَفاً، ولم يقرب لنا فراشاً. قال: فعَضَّني[(٤)] بلسانه وقال: أَنْكَحْتُك امرأةً من قريش ذاتَ حَسَب[(٥)] وجمال، فعَضَلْتَها؟! وشكاني إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أتصومُ النهار؟» قلتُ: نعم. قال: «وتقومُ الليل؟». قلت: نعم. قال: «لكنِّي أَصُومُ وأُفْطِرُ، وأُصلِّي وأنام، وأَمَسُّ النساء، فمن رَغِبَ عن سُنَّتي، فليس منّي».

---

(١) الكلام بين حاصرتين من (م)، وهو في «مسند» أحمد (٦٥١٠).

(٢) الاستيعاب ص ٤٢٢، وتاريخ دمشق ٣٧/ ١٦١ـ١٦٢ (طبعة مجمع دمشق)، ورواه أحمد (١٧٨٠٦) عن عمرو بن العاص. وضعَّف محقِّقوه إسناده.

(٣) لفظ: «عبد الرحمن و» من «المسند» (٦٤٧٧).

(٤) في (م) (والخبر منها»: فعضهني. والتصويب من «المسند». وعضَّ فلاناً بلسانه، أي: ذكره بسوء. وينظر «النهاية في غريب الحديث» ٣/ ٢٠٠ (عذم).

(٥) في (م): حسن، بدل: حَسَب، والمثبت من «المسند».

وقال: «اقْرأ القرآن في كلِّ شهر». فقال: أجدني أقوى من ذلك. قال: «فاقْرَأْه في كلِّ ثلاث، ثم (قال): «صُمْ في كلِّ شهر ثلاثة أيام». قال: إنّي أقْوَى من ذلك. قال: «صُمْ يوماً وأَفْطِرْ يوماً، فإنه أفضلُ الصيام، وهو صيامُ أخي داود».

قال مجاهد: فكان عبدُ الله حين ضَعُفَ وكَبِرَ يقول: يا ليتني قبلتُ رُخْصةَ رسولِ الله ﷺ[(١)].

وروى عبد الله بنُ أحمد بإسناده عن عبد الله بن عمرو][(٢)] قال: لأَنْ أدمَع دَمْعَةً من خشية الله أحبُّ إليَّ من أنْ أتصدَّقَ بألف دينار[(٣)].

وروى عبد الله بن أحمد بإسناده عن عبد الله بن عمرو أنه دخل على رسول الله ﷺ البيتَ فقال له: «هل تعلمُ مَنْ معنا». قال: لا. قال: «هو جبريل». قال: فقلتُ: السلام عليك يا جبريل. فقال رسول الله ﷺ: «قد ردَّ عليك». فذهب بصرُه في آخر عمره.

[وقال ابنُ قُتيبة: شهد عبد الله بن عمرو مع أبيه صفّين، وكان يضرب بسيفين[(٤)].

قلت: وهذا من أوهام ابن قُتيبة، فإن عبد الله لم يُقاتل في صِفّين.

وقد روينا أنه لما قُتل عمار قال عبد الله لأبيه: قتلتم عماراً! وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول له: «تقتلك الفئة الباغية». فقال له معاوية: فما لك معنا؟! فقال: إن رسول الله قال لي: «أطع أباك». فأنا معكم، ولستُ أقاتل].

وحضر صِفّين مع أبيه وقال: يا ليتني مِتُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة [ـ أو بعشر سنين ـ] ووالله ما رميتُ فيها بسهم، ولا طعنتُ فيها برمح، ولا ضربتُ فيها بسيف، ولوددت أنّي لم أحضُرْها، وأنا أستغفرُ الله من ذلك وأتوب إليه[(٥)].

---

(١) الحديث في «مسند» أحمد (٦٤٧٧)، وما وقع فيه بين أقواس عادية منه.

(٢) من قوله: وقال الواقدي... إلى هذا الموضع (وهو الواقع بين حاصرتين) من (م).

(٣) هو في «شُعب الإيمان» (٨١٦) ولم أقف عليه من طريق عبد الله بن أحمد.

(٤) المعارف ص ٢٨٦. وهذا الكلام الواقع بين حاصرتين من (م).

(٥) التبيين في أنساب القرشيين ص ٤٦٤، ونُسب الكلام في (م) إليه، وما وقع فيه بين حاصرتين منها.

[وكذا حكى عنه ابن عساكر[١]. وقال:] وكانت معه راية أبيه يوم اليرموك، وكان الأمير يوم قيساريَّة[٢].

وقال له أبوه: يا بنيّ، ما الشَّرَف؟ قال: كفُّ الأذى، وبَذْلُ النَّدى. قال: فما المروءة؟ قال: عِرْفان الحقّ، وتعاهدُ الصنيعة. قال: فما المجد؟ قال: احتمالُ المغارم، واقتناء المكارم[٣].

[قال: وقال عبد الله: إذا لم تبكُوا فتَباكَوْا.

وذكره الموفَّق في «الأنساب»[٤] فقال: كان عبد الله حافظاً فاضلاً عالماً، قرأ الكتب، ووُلد لعمرو وعَمرٌو ابنُ اثنتي عشرة سنة].

وقال أبو هريرة: ما كان أحدٌ أحفظَ لحديث رسول الله ﷺ منّي إلا عبدَ الله بنَ عَمرو، فإنَّه كان يكتُبُ، وأنا لا أكتب، استأذنَ رسولَ الله ﷺ في الكتابة، فأذِنَ له، فقال: يا رسول الله أكتبُ كلَّ ما أسمعُ منك في الرضا والغضب؟ قال: «نعم، فإني لا أقول إلا حقّاً»[٥].

ذكر وفاته:

واختلفوا فيها؛ ذكر ابن سعد عن الواقديّ أنه قال[٦]: توفِّي عبدُ الله بن عَمرو بالشام سنة خمس وستين، وهو ابنُ اثنتين وسبعين سنة.

قال جدِّي رحمه الله في «الصفوة»: وقد زعم قومٌ أنه مات بمكة، ويقال: بالطائف، ويقال: بمصر. هذا صورة ما ذكره جدّي في «الصفوة»[٧].

---

(١) تاريخ دمشق ٣٧/ ١٨١ . وينظر «طبقات» ابن سعد ٥/ ٨٧ـ٨٨ .

(٢) المصدر السابق ٣٧/ ١٧٤ .

(٣) المصدر السابق ٣٧/ ١٧٢ .

(٤) واسمه «التبيين في أنساب القرشيين» والكلام فيه ص ٤٦٤ .

(٥) ينظر «تاريخ دمشق» ٣٧/ ١٦٢ـ١٦٥ (طبعة مجمع دمشق). وما سلف نحوه أول الترجمة.

(٦) طبقات ابن سعد ٥/ ٩٠ .

(٧) صفة الصفوة ١/ ٦٦٠ . ومن قوله أول الفقرة: واختلفوا فيها... إلى هذا الموضع من (م). ووقع في (خ) مختصراً بلفظ: توفي بالشام سنة خمس وستين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، وقيل: توفي بمكة، وقيل: بالطائف، وقيل: بمصر، وسترد أيضاً.

وقيل: [توفي] سنة ثلاث وستين ليالي الحرَّة[١]. وقيل: سنة تسع وستين[٢]، وقيل: سنة ثمان وستين[٣].

قال ابنُ الكلبيّ[٤]: كان عبد الله بن عمرو معتزلاً مع أبيه لأمر عثمان، فلما خرج أبوه إلى معاوية خرج معه، فشهد صفِّين، ثم ندم بعد ذلك، وقال: ما لي ولِصِفِّين! مالي ولقتال المسلمين! ثم خرج مع أبيه إلى مصر، فلما حضرت عَمراً الوفاةُ استخلفه على مصر، فأقرَّه معاوية سنةً، ثم عزلَه، وكان يحجُّ ويعتمرُ ويأتي الشام، ثم رجع إلى مصر[٥]، وكان قد ابتنى بها داراً، فلم يزل بها حتى مات في سنة سبع وسبعين في خلافة عبد الملك بن مروان، فدفن في داره.

وقيل: مات فدفن بمكان يقال له: السَّبْع بفلسطين[٦]. وهو الذي نزله الخليل عليه السلام [وقد ذكرناه في سيرة الخليل.

وقال الهيثم: مات بمكة، وقال أبو اليقظان: بالطائف][٧].

وقيل: مات بقرية من قرى عسقلان يقال لها: أولاس[٨] [بينها وبين عسقلان فرسخان، وأهل مصر يقولون: مات بمصر، ودفن عند قبر أبيه عمرو، بداره الصغيرة بدار الإمارة. والله أعلم][٩].

---

(١) تاريخ دمشق ٣٧/ ١٨٩ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) كذا في (خ) (والكلام منها). ولعلها محرفة عن: سبع وستين، وهي في «تهذيب الكمال» ١٥/ ٣٦٢.

(٣) تاريخ دمشق ٣٧/ ١٩٠ و١٩٢، وتهذيب الكمال ١٥/ ٣٦٢. وجاء بعد هذا في (خ) أيضاً: وقيل: سنة اثنتين وسبعين، وقيل: سنة تسع وسبعين. ولم تذكر المصادر هذين القولين.

(٤) الكلام من (خ) فقط. والخبر في «طبقات» ابن سعد ٩/ ٥٠١ عن عمرو بن عاصم الكلابي.

(٥) في (خ) (والكلام منها): البصرة. بدل: مصر. وهو خطأ. والتصويب من «الطبقات».

(٦) الاستيعاب ص ٤٢٢. وقد نُسب هذا القول في (م) لابن عبد البرّ. وينظر «معجم البلدان» ٣/ ١٨٥.

(٧) الكلام بين حاصرتين من (م). وسلف أنه مات بمكة أو بالطائف من كلام ابن الجوزي (جدّ المصنف) أول الفقرة.

(٨) تاريخ دمشق ٣٧/ ١٨٨. وفيه: ملامس، بدل: أولاس. ونُسب هذا القول في (م) لخليفة. ولم أقف عليه في «تاريخه» أو «طبقاته». والذي في «طبقاته» ص ٢٩٩ أنه مات بالطائف سنة ستّ وستين.

(٩) الكلام بين حاصرتين من (م).

وقيل: بقرية غيلان من بيت جبرين[١].

[تفسير قوله: لا أنحاشُ لها. معناه: لا أكترِثُ لها، ولا ألتفت إليها.

والكَنَّةُ: امرأة الولد.

قال: والخَتَن: كلُّ مَنْ كان من قِبَل المرأة، مثل الأب والأخ، وهم الأَخْتانُ.

قال: هكذا عند العرب. وأما عند العامة؛ فخَتَنُ الرجل زوجُ ابنته.

قال: وأمَّا الأصهار؛ فأهل بيت المرأة. عن الخليل؛ (قال:) ومن العرب من يجعلُ الصِّهْرَ من الأَحْماء (والأَخْتان جميعاً).

وأمَّا الأحماء؛ فَحَماةُ المرأة أمُّ زَوْجِها، لا لغةَ فيه (غير هذه)][٢].

ذكر أولاده:

كان له من الولد محمد، أمُّه بنتُ مَحْمِيَةَ بنِ جَزْء الزُّبيدي ـ وقيل: عمرة بنت عُبيد الله بن العبَّاس[٣] ـ ومحمد هو أبو شُعيب، وهشام، وهاشم، وعمران، وأمّ إياس، وأمّ عبد الله، وأم سعيد، أمُّهم أمُّ هاشم، كِنديَّة[٤].

أسند عبد الله بنُ عمرو الحديث عن رسول الله ﷺ؛ روى سبع مئة حديث، وقيل: روى من المتون سوى الطرق نيِّفاً وخمس مئة[٥].

---

(١) هذا القول من (خ). ولم أقف عليه. ووقع في «تاريخ دمشق» ٣٧/ ١٨٨ بعد القول الذي قبله ما صورتُه: وغيلان من عمل بيت جبريل.

(٢) من قوله: تفسير قوله: لا أنحاش... إلى هذا الموضع (وهو الواقع بين حاصرتين) من (م). وما جاء فيه بين قوسين عاديَّين من «الصحاح». وجاء في حاشية (م) ما نصُّه: (قال في «القاموس»: الصِّهْر زوج بنت الرجل وزوج أخته، والأَخْتَان أصهارٌ أيضاً. وقد صاهرهم، وفيهم، وأصهر بهم وإليهم: صار فيهم صِهْراً. انتهى. وقال أيضاً في مادة ختن: الخَتَن بالتحريك: الصِّهر، أو كلُّ من كان من قِبَل المرأة كالأب والأخ، والخُتُونة بالضم: المصاهرة، كالخُتون، وتزوُّج الرجلِ المرأة، وخاتَنَه: تزوَّج إليه. انتهى. أقول: وإذا عرفتَ ذلك؛ علمتَ أن قوله: وأما عند العامّة ختن الرجل زوج ابنته مشيراً بذلك إلى أنه لا أصل له عند علماء اللغة؛ ليس بصحيح؛ لثبوت أصله كما نقلتُ لك، فتأمّل ما في كلامه، والله أعلم. لكاتبه محمد).

(٣) لم أقف على هذا القول. وينظر التعليق التالي.

(٤) طبقات ابن سعد ٥/ ٨٣، وتاريخ دمشق ٣٧/ ١٤٩. دون قوله: وقيل: عمرة بنت عُبيد الله بن العبَّاس.

(٥) ينظر «التلقيح» ص ٣٦٣.

وروى عن كبار الصحابة كأبي بكر، وعُمر، وعبدِ الرحمن بنِ عوف، ومعاذِ بن جبل، وأبي الدرداء، وأبيه عَمرو، وغيرهم ﷺ.

وروى عنه ابنُ المسيِّب، وعروة بن الزبير، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، وطاوس، وابن أبي مُليكة، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وأخوه حُميد بن عبد الرحمن، وعطاء بن يسار، في خلق كثير من أهل الحجاز، واليمن، والعراق، وأهل الشام، وكان من المكثرين[1].

[ومن مسانيده في القُسطنطينية؛ قال (أحمد): حدثنا يحيى بن إسحاق بإسناده إلى أبي قَبِيل قال: كنتُ عند عبد الله بن عَمرو بن العاص، فسئل: أيُّ المدينتين تُفتحُ أوّلاً؛ القسطنطينية، أو رُوميَّة؟ فقال: قال رسول الله ﷺ وقد سُئل عن ذلك فقال: «مدينة هرقل». يعني القُسطنطينية.

ومن مسانيده في الكاسيات وأسنمة البُخْت، قال أحمد بإسناده إلى عيسى بن هلال الصَّدَفي؛ قال: سمعتُ عبدَ الله بنَ عَمرو يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «سيكون نساءٌ في أمتي يركَبْنَ على السُّرُوج كأشباه الرِّجال، كاسياتٍ عاريات، على رؤوسهنَّ كأَسْنمةِ البُخْتِ العِجاف، مائلاتٍ مُميلات، فالعنُوهنَّ، فإنَّهن ملعونات».

ومن مسانيده في المرضى؛ قال أحمد بإسناده عن عبد الله بن عَمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحدٌ من الناس يُصابُ ببلاءٍ في جسده إلا أمرَ اللهُ الملائكةَ الذين يحفظونه، فقال: اكتُبوا لعبدي في كلّ يوم وليلة ما كان يعملُ من خير مادام في وَثاقي».

ومن مسانيده في خراب الكعبة؛ قال أحمد بإسناده عن مجاهد، عن عبد الله بن عَمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «يُخَرِّبُ الكعبةَ ذو السُّوَيْقَتَيْن من الحبشة، ويَسْلُبُها حُلِيَّها، ولكأني أنظرُ إليه أُصَيْلِعَ أُفَيْدِعَ، يَضربُ عليها بمِسْحَاتِهِ ومِعْوَلِه». الفَدَع: زيغٌ بين القَدَم وعَظْم السَّاق.

وأيضاً:

---

(١) ينظر «تاريخ دمشق» ٣٧/ ١٤٦ـ١٤٧ (طبعة مجمع دمشق) و«تهذيب الكمال» ١٥/ ٣٥٨ـ٣٦٢.

عبد الله بن عَمرو بن قيس

أبو أُبَيّ الأنصاري، له صحبة ورواية.

قلت: وأخرج له أحمد في «المسند» حديثين؛ قال أحمد بإسناده عن أبي أُبَيّ[١] ابنِ امرأةِ عُبادة بنِ الصامت، عن النبي ﷺ قال: «سيكون أمراء لتشغلنَّهم أشياءُ، يؤخّرون الصلاة عن وقتها، فصلُّوا الصلاة لوقتها، واجعلوا صلاتكم معهم تطوّعاً». انتهى حديثه][٢].

عبد الله بن عبد الرحمن[٣]

ابن عتبة، ويُعرف بابن جَحْدَم، الفِهْري، أمير مصر لما حصرها مروان [بن الحَكَم][٤]، وكان أبوه عبد الرحمن على مصر من قِبَل ابنِ الزُّبير[٥]، فأقام عليها تسعة أشهر، فقيل: قتله مروان بمصر، وقيل: عاش إلى بعد زمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، ووليَ دمشقَ[٦] ليزيد بن عبد الملك.

قال هشام بنُ عمَّار: أجدبت دمشق، فخرج بالناس يستسقي، فصعد المنبر دون المجلس وقال: اللهم إنَّا لم نكن بأجمعنا نجيء إلى غيرك[٧]، وقد جئناك لأمر لا ينقصك شيئاً، وهو بنا أرفق[٨]، فاسْقِنا. قال: فسُقُوا من وقتهم.

---

(١) في (م) (والكلام منها): ابن أُبي، والتصويب من «المسند» (٢٣٨٥٢).

(٢) من قوله: ومن مسانيده في القسطنطينية... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من (م). وورد في (خ) من هذا الكلام كله حديث ذي السويقتين فقط. وتنظر الأحاديث المذكورة في «مسند» أحمد على الترتيب: (٦٦٤٥) و(٧٠٨٣) و(٦٤٨٢) و(٧٠٥٣) و(٢٣٨٥٢).

(٣) بدءاً من هذه الترجمة أُضيفت نسخة أحمد الثالث، ورمزها (أ).

(٤) إنما أمير مصر أبوه عبد الرحمن كما سيأتي في الكلام بعده. وسلف خبرُه ص ٣٢٣-٣٢٤.

(٥) ينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٨٩ و٣١٨-٣١٩.

(٦) يعني عبد الله بن عبد الرحمن. وقد تداخل الكلام هنا بين عبد الرحمن وابنه. ينظر «مختصر تاريخ دمشق» ١٢/ ٣٣٧.

(٧) في (م): أحد غيرك. وفي «مختصر تاريخ دمشق» ١٢/ ٣٣٧: أحد دونك.

(٨) في «مختصر تاريخ دمشق»: رافق، وفي (م): أن نسق. وعبارة «المختصر»: إنَّا لم نكن لنجيء بأجمعنا إلى أحد دونك ـ وكلُّ شيء هو دونك ـ في أمر لا ينقصه شيئاً وهو بنا رافق إلا أعطاناه، اللهم ولك المَثَل الأعلى، جئناك الغداة نطلب في أمر لا ينقصك وهو بنا رافق...

مالك بن هُبيرة

ابن خالد بن مسلم السَّكوني[١].

[قال ابن عبد البَرّ: كنيتُه] أبو سعيد. وقيل: أبو سليمان.

له حديث واحد [في الصفّ على الجنازة]؛ قال الإمام أحمد بنُ حنبل رضي الله عنه: حدثنا يزيد بنُ هارون، حدثنا حماد بنُ زيد، عن محمد بن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب، عن مَرْثد[٢] بن عبد الله اليَزَني، عن مالك بن هُبيرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مؤمن يموت، فيصلِّي عليه أُمَّةٌ من المسلمين يبلغوا[٣] أن يكونوا ثلاث صفوف[٤]؛ إلا غُفر له».

قال: وكان مالك بن هُبيرة يتحرَّى إذا قلَّ أهل الجِنازة أن يجعلهم ثلاث صفوف.

[وفي رواية: «ما صلَّى على ميّت ثلاث صفوف؛ إلا وجبت له الجنة».

وليس في الصحابة مَن اسمُه مالك بن هُبيرة سواه][٥].

قال ابن عساكر[٦]: كانت دار مالك بالباب الشرقيّ بدمشق، ولما قَتَلَ معاويةُ حُجْرَ ابنَ عديّ الكندي وأصحابَه كان بدمشق، وولَّاه معاويةُ الصائفة وحمص.

وحضر مع مروان الجابية لما بُويع، وشهد معه وقعة المَرْج، وكان على الرَّجَّالة.

وسكن حمص، ولم يُعْقِب، وكان معاوية يثني عليه ويقول: ما أصبح عندي من العرب أوثقَ في نفسي نصحاً للمسلمين مثل مالك [بن هُبيرة].

وكانت وفاته ببيت رأس[٧].

---

(١) في (م): اليزني، وقيل: السكوني. وما سيرد بين حاصرتين منها.

(٢) في (أ) و(خ): زيد، وهو تحريف.

(٣) في (أ) و(خ): لم يبلغوا. والمثبت من «مسند» أحمد (١٦٧٢٤)، وهو بنحوه في (م) كما في التعليق التالي.

(٤) في (م): يبلغوا ثلاث صفوف.

(٥) ما بين حاصرتين من (م)، وينظر «تاريخ دمشق» ٦٦/ ١٦٦ـ١٦٧ (طبعة مجمع دمشق).

(٦) في «تاريخ دمشق» ٦٦/ ١٦٣ـ١٦٤ .

(٧) المصدر السابق ٦٦/ ١٧٢ . وبيت رأس ـ كما في «معجم البلدان» ١/ ٥٢٠ ـ اسم لقريتين، في كل واحدة منهما كروم كثيرة يُنسب إليها الخمر، إحداهما بالبيت المقدّس ـ وقيل: بالأردن ـ والأخرى من نواحي حلب.

مروان بن الحَكَم

ابن [أبي] العاص بن أمية بن عَبْد شمس، أبو عبد الملك، من الطبقة الأولى من التابعين، من أهل المدينة[١].

أدرك رسولَ الله ﷺ، ولم يحفظ عنه شيئاً، وقُبض رسولُ الله ﷺ وهو ابن ثمانِ سنين.

[قال هشام:] ومولدُه بالأبواء سنة اثنتين من الهجرة، وأمُّه آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أميَّة بن مُحَرِّث من بني كنانة، كنيتُها أمُّ عثمان.

وأمُّها الصَّعبة بنتُ أبي طلحة بن عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار [بن قصي].

قال الواقدي: وتُلقَّبُ بالزرقاء، وكانوا يُعَيِّرون بها.

قال ابن الكلبي: وكان لها راية في الجاهلية تُعرف بها.

وقال البَلاذُري: الزَّرقاء أمُّ جدَّة مروان، لأن أمَّه آمنة بنت صفية، وصفية تلقَّب بالصعبة بنت أبي طلحة العَبْدري، وأمُّ الصعبة مارية بنت موهوب و[مارية] هي الزرقاء[٢] [وكان موهوب ـ ويقال: مهيب ـ قَيْناً بمكة].

وقيل: اسم الزَّرقاء أرنب بنت موهب[٣].

ذكر صفته:

[قال الواقدي:] كان مروان طُوالاً دقيقاً، يلقَّب بخيط باطل، وهو الذي يُرى في الشمس من لُعابها[٤].

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٩. ونسب الكلام في (م) إليه.

(٢) الكلام بنحوه في «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٨١، وفيه: موهب، بدل: موهوب.

(٣) ينظر «تاريخ دمشق» ٦٦/ ٤٢٣. وما سلف وسيرد بين حاصرتين من (م). والقَيْن: الحدَّاد.

(٤) في «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦: كان مروان يلقَّب بخيط باطل لقدّته وطوله؛ شُبّه بالخيط الأبيض الذي يُرى في الشمس. وجاء في «تاريخ دمشق» ٦٦/ ٤٧٣: كان قصيراً أحمر الوجه، أوقصَ، دقيق العنق، كبير الرأس واللحية. وقال الذهبي في «تاريخ الإسلام» ٢/ ٧٠٧: كان يلقَّب خيط باطل لدقَّة عنقه. وذكر الثعالبي في «ثمار القلوب» ص ٧٦ أن مروان لقّب بذلك لأنه كان طويلاً مضطرباً، وقال: الخيوط التي تتراءى في الهواء عند شدّة الحرّ يقال لها: مُخاط الشيطان، ولُعاب الشمس، وخيط باطل.

وفيه يقول أخوه عبد الرحمن بن الحكم:

لعمري وما أدري وإني لسائلٌ حَلِيلةَ مضروبِ القَفَا كيف يصنعُ
لَحَى اللهُ قوماً أمَّرُوا خَيْطَ باطلٍ على الناسِ يُعطي من يشاء ويمنعُ[1]

[وكان قد ضُرب مروانُ على قَفَاه يوم الدَّار، فكان يلقَّب بمضروب القَفَا. وقد ذكرناه هناك.

ذكر طرف من أخباره وسيرته:

رُوي أنه قُبض رسولُ الله ﷺ وهو ابنُ ثمان سنين؛ قال:][2]ولم يزل مروان مع أبيه الحكم حتى مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين، فضمَّه عثمان رضوان الله عليه إليه، وجعله كاتبه، وأعطاه أموالاً عظيمة، وكان يتأوَّل في ذلك صلة الرحم، فنقم الناسُ على عثمان رضوان الله عليه بسبب تقريبه إليه، فكان يرتكب أموراً لا يعلم بها عثمان رضوان الله عليه، ويرون أن كثيراً ممَّا نسب إلى عثمان رضوان الله عليه لم يأمر به، وإنما هو عن رأي مروان.

وكان الناس قد شَنَفُوا لعثمان رضي الله عنه[3] لما كان يصنع مروان، وكان عثمان رضوان الله عليه رجلاً حَيِيّاً كريماً، فكان يصدِّقُ مروان في بعض ذلك، ويردُّ عليه بعضاً.

فلما حُصر[عثمان] قاتل مروانُ دونَه أشدَّ القتال.

[قال ابن سَعْد أيضاً[4]: وأرادت عائشةُ الحجَّ وعثمانُ محصور، فأتاها مروان، وزيد بنُ ثابت، وعبد الرحمن بن عتَّاب بن أسيد بن أبي العيص، فقالوا: يا أُمَّ المؤمنين، لو أقمتِ، فإنَّ أمير المؤمنين محصور، ومقامُكِ ممَّا يدفع الله به عنه. فلم تُجبهم وقالت: قد أحضرتُ رواحلي. فقام مروان وهو يقول:

حرَّقَ قيسٌ عليَّ البلاد حتى إذا استعَرَتْ أجذما

(١) بنحوه في «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٨٦.
(٢) الكلام بين حاصرتين من (م).
(٣) أي: اعترضوا عليه.
(٤) في «الطبقات» ٧/ ٤٠ـ٤١، وما قبله منه.

فقالت عائشة: أيُّها المُتَمثِّلُ عليَّ بالأشعار، وَدِدْتُ ـ واللهِ ـ أنَّك وصاحبَك هذا الذي يعنيك أمرُه؛ في رِجْل كلٍّ واحد منكما رَحًى، وأنتُما في البحر. ثم خرجَتْ إلى الحجّ. وقد ذكرناه.

وقال البلاذُري[١]: ولّاه معاويةُ البحرين، ثم ولّاه المدينة مرَّتين، وكان يولّيه مرة، وسعيد بن العاص مرَّة. وقد تقدَّم هذا.

وقال المدائني:][٢] وكان مروان من أقرأ الناس للقرآن، وكان يقول: ما أتيتُ بفاحشة قطّ.

وقيل لأبي البليغ: كيف رأيت مروان عند طلب الحاجة إليه؟ فقال: رأيتُ رغبته في الإنعام فوق رغبته في الشكر، وحاجتَه إلى قضاء الحاجة أشدَّ من حاجة صاحبها[٣].

وتنازعَ مروان وعَمرو بنُ العاص في شيء، فقال له عمرو: يا ابن الزرقاء. فقال مروان: إنْ كانت زرقاء، فقد أنجبَتْ وأدَّت الشَّبَه إذْ لم تؤدِّه النابغة[٤].

[وقال ابن سعد[٥]: ولَّى معاويةُ مروان المدينة لما وليَ الأمر سنة اثنتين وأربعين، ثم عزله وولَّى سعيد بن العاص، ثم عزل سعيداً وأعاد مروان، ثم عزله وأعاد سعيداً، ثم عزله وولَّى مروان[٦]، ثم عزله وولَّى سعيداً. ثم ولَّى الوليدَ بنَ عتبة بن أبي سفيان، فلم يزل على المدينة حتى مات معاوية، ومروان يومئذ معزول عن المدينة، ثم ولّى يزيدُ بنُ معاوية المدينة بعد الوليد بنِ عتبة عثمانَ بنَ محمد بن أبي سفيان، فأخرجه أهل المدينة وبني أمية، وأجْلَوْهم إلى الشام، وفيهم مروان، والتقاهم مُسْرف بن عقبة، فرجعوا معه إلى المدينة ، وكانت نَوْبَةُ الحَرَّة، وجعل مروان يُؤَلِّبُ مسرف على أهل المدينة، ويدلُّه على عوراتهم بعد ما أخذوا عليه العهود والمواثيق.

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٨٦ .

(٢) من قوله: قال ابن سعد أيضاً: وأرادت عائشة... إلى هذا الموضع (وهو الواقع بين حاصرتين) من (م).

(٣) العقد الفريد ١/ ٢٣٠ .

(٤) أنساب الأشراف ٥/ ٢٩١ . والنابغة أمُّ عمرو بن العاص، من بني عَنَزَة.

(٥) في «الطبقات» ٧/ ٤٢ـ٤٣ .

(٦) كذا جاء ذكر تولية مروان للمرة الثالثة في (م) (والكلام منها) وجاء في «الطبقات» مرتين، وسلف كذلك من قول البلاذري.

وكتب مسرف إلى يزيد يشكرُ مروان، فلما قدم على يزيد أكرمه ووصله.

وأقام مروان بالشام حتى مات يزيد بن معاوية، ووليَ ابنُه معاويةُ بن يزيد، ومات، ووقع الاختلاف إلى أن وَليَ مروان الخلافة.

وقال الهيثم بنُ عديّ:][1] ودخل مروان ضيعة له بالغوطة أقطعه إيَّاها معاوية، فقال لوكيله: إني لأظنُّك قد خُنتني. فقال: لا تظنَّ، ولكن تيقَّن، واللهِ إني لأخونُك، وإنك لتخونُ معاوية، وإنَّ معاوية، ليخونُ ربَّه، فأبعدَ الله شرَّ الثلاثة[2].

[قال ابن عساكر:] وكان يهوديّ اسمُه يوسف قد أسلم وقرأ الكتب، وكان إذا مرَّ بدار مروان يقول: ويلٌ لأمَّةِ محمد ﷺ من أهل هذه الدار حتى تجيء راياتٌ سودٌ من قِبَل خُراسان. وكان صديقاً لمروان، فكان يقول له: يا مروان[3]، اتَّقِ اللهَ في أمَّة محمدٍ ﷺ إذا وَلِيَتهُمْ.

[وقد ذكرنا اليهودي لما جهَّز يزيد بن معاوية الجيش إلى ابن الزبير، واستعظم الأمر عبدُ الملك بن مروان.

وقال المدائني: قال رسول الله ﷺ للحكم: «كأنّي ببنيك يصعدون على منبري وينزلون».

وقال ابن عباس في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] قال: رأى رسول الله ﷺ بني أمية يَنْزُون على منابره نَزْو القردة. فساءه ذلك][4].

---

(١) من قوله: وقال ابن سعد: ولّى معاوية مروان... إلى هذا الموضع (وهو الواقع بين حاصرتين) من (م).

(٢) بنحوه في «العقد الفريد» ١/ ٣٢.

(٣) في «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٢٥٥ (طبعة مجمع دمشق): وكان صديقاً لعبد الملك بن مروان... يا ابن مروان. والخبر في ترجمة عبد الملك، ولم أقف عليه في ترجمة مروان. وينظر الكلام التالي والتعليق عليه.

(٤) من قوله: وقد ذكرنا اليهودي... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من (م). وقد ضعَّف هذه الأخبار ابن الجوزي في «العلل المتناهية» ٢/ ٧٠١ وابن كثير في «البداية والنهاية» ١١/ ٧١١. وسلف خبر اليهودي مع عبد الملك في فقرة: ولاية عبد الملك، في أحداث هذه السنة (٦٥).

وقال عَمرو بن مُرَّة الجهني: استأذنَ الحَكَم على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «ائذنوا له، لعنه الله، ولعنَ مَنْ يخرجُ[١] من صُلْبِه»[٢].

[فإن قيل: فقد قالت عائشة لمروان: أشهدُ أن رسول الله لعنَ أباك وأنتَ في صُلْبِه. ومروان وُلد بعد الهجرة.

قلنا: إنما لعن الحكم لما كان في مكة قبل الهجرة، فإنه كان يُبالغ في أذى رسول الله. وقد ذكرناه][٣].

ذكر وفاته:

واختلفوا فيها على قولين:

أحدهما: أنه طُعن، فمات فجأة.

والثاني: أن أمَّ خالد بن يزيد قتَلَتْه.

وقد اختلفت الرواية فيه، فقال ابنُ سعد بإسناده عن أبي الحُويرث قال: لما بايع أهل الشام مروان قيل له: تزوَّج أمّ خالد حتى تصغّر شأن ابنها، فلا يُطلب للخلافة. فتزوَّجَها. فدخل خالد يوماً على مروان وعنده جماعة كثيرة وهو يمشي بين الصفَّين، فقال مروان: والله إنه ما علمتُ لأحمق. ثم قال: تعال يا ابن الرَّطبة. يُقصِّر به ليسقطه في عين أهل الشام.

فرجع إلى أمه، فأخبرها، فقالت له: لا يُعرف ذلك فيك واسكت، فأنا أكفيكه. ثم دخل عليها مروان، فقال: هل قال لكِ خالد شيئاً؟ قالت: أنت عند خالد أشدُّ إعظاماً من أن يقول فيك شيئاً.

ثم مكثت أياماً، فنام مروان عندها، فغطَّتْه بالوسادة حتى قتلته. هذا صورة ما حكى ابنُ سعد عن الواقدي، وقد أشار إليه الطبري[٤].

---

(١) في (م): ولعن ما نسل وما يخرج...

(٢) نُسب الخبر في (م) للبلاذُري، وهو في «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٨٥، وتتمته فيه: «إلا المؤمنين، وقليلٌ ما هم، يشرُفون في الدنيا، ويتَّضعون في الآخرة».

(٣) ما بين حاصرتين من (م).

(٤) أخرجه الطبري في «تاريخه» ٥/ ٦١٠ـ٦١١ من طريق ابن سعد، عن الواقدي، عن موسى بن يعقوب، عن أبي الحويرث. وهو بنحوه في «طبقات» ابن سعد ٧/ ٤٦ من طريق آخر

وقال المدائني: إنما تزوَّج مروان أمَّ خالد بعد عوده من مصر[١]؛ قال: لمَّا رَجَعَ مروان من مصر نزل الأردنّ، فخطب أمَّ خالد بن يزيد، وهي أمُّ هاشم بنت أبي هاشم ابن عتبة بن ربيعة[٢]، فأخبرَتْ ابنَها خالداً، فقال: واللهِ ما يريد إلا أن يُسقط منزلتي وحُرمتي ويفضحني بين الناس. فأَبَتْ إلا أن تتزوَّجه، فلما دخلَ بها ليلة البناء؛ قعدت معه على فراشه، فأقبل ينظر إلى السقف ويحدِّثُ نفسه، ولم يكلِّمها حتى أصبح، وخرجَ إلى الصلاة، فأرسلت إلى صاحب شرطته وقالت: أما ترى ما صنع بي صاحبُك من الاستخفاف؟! وقد عصيتُ ولدي والناسَ فيه. فأخبر مروان بما قالت، فقال: إنّي كنتُ شابّاً وأنا مقبلٌ على أمر آخرتي لا أؤثر عليها شيئاً، فلما كَبِر سنِّي واقترب أجلي آثرت دنياي على آخرتي، فأُتيتُ بها وأنا مفكِّر في ذلك، فشُغلت عنها[٣].

[وقال الهيثم: مازال مستخفّاً بها وبابنها منذ دخل بها ليفضحَها ويفضحَ ابنَها حتى قَتَلَتْه][٤].

ودخل خالد يوماً على مروان وعنده جماعة كثيرة وهو يمشي بين الصفَّين، فقال مروان: والله إنه ما علمتُ لأحمق. ثم قال: تعال يا ابن الرطبة. فقال له خالد: يا مروان، واللهِ ما أحسنتَ العِشْرة، ولا أدَّيْتَ الأمانة، واللهِ لقد نَهَيْنَاها عنك فأبت، فأبعدَ اللهُ ساعتك. ثم نهض، فدخل على أمِّه باكياً، فأخبرَها، فقالت: اكُتمْ هذا، فوالله لا سمعتَ بعدها منه ما تكره.

ودخل مروان عليها فقال لها: ما الذي قال لك خالد؟ قالت: وما عساه أن يقول، وأنت عنده بمنزلة الوالد.

وجاء وقت القائلة، فنام عندها فاتفقت مع جواريها على خنقه، فأخذَتْ وسادةً، فجعلتها على وجهه، فخنقته، ثم رفعت الوسادة وقامت، فشقت جيبها، وفعل جواريها كذلك، ثم صِحْنَ ووَلْوَلْنَ.

---

(١) من قوله: واختلفوا فيها على قولين... إلى هذا الموضع أثبتُّه من (م)، وقد وقع في (أ) و(خ) مختصراً جداً. ولم يرد فيهما أيضاً خبر ابن سعد.

(٢) في (أ): زمعة.

(٣) أنساب الأشراف ٥/ ٣١٣ـ٣١٤.

(٤) ما بين حاصرتين من (م).

ويقال: كان في آخر رمق، واعتُقل لسانُه[١]، ودخل أولادُه وأمُّ خالد عند رأسه فجعلَ يُشير إليها بيده، أي: هي التي قتلتني. فلم يفهموا، وجعلت تقول: إنه لم يشتغل عني بما هو فيه، ألا ترون كيف يُوصيكم بي؟

وعلم الناسُ بعد ذلك، فكان عبد الملك [بن مروان] يقول: واللهِ إني لأعرفُ ثأري في هذا الدار. يعني دار أمِّ خالد.

[قال الهيثم:] فمروان يعدّ من قتلة النساء.

وكانت وفاتُه بدمشق غرَّة شهر رمضان [أو لهلال شهر رمضان] هذه السنة. وصلَّى عليه عبد الملك. وقيل: عبد الرحمن بن أمِّ الحكم؛ [كان خليفتَه على دمشق][٢]. ودُفن بين باب الجابية والباب الصغير.

[وهذا قول عامة العلماء أنه مات بدمشق مستهلّ رمضان، وقد نصَّ عليه الطبري].

وقيل: مات بِلُدّ. وقيل: بالصِّنَّبْرة [عند انصرافه من مصر][٣].

وكانت ولايتُه على الشام ومصر والجزيرة ثمانية أشهر، وقيل: تسعة أشهر وأياماً، وقيل: عشرة أشهر إلا ثلاثة أيام[٤].

وقد قال له أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه: يا مروان، لتحملنَّ راية ضلالة بعد ما يشيب صِدْغاك، وإن لك إمرةً كَلَحْسَةِ الكلب أنفَهُ[٥] [وقد ذكرناه يوم الجمل].

وعاش ثلاثاً وستين سنة، وكان نقش خاتمه: آمنتُ بالله مخلصاً[٦].

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٣٤ أنه اعتُقل لسانُه من شربة لبن مسموم.

(٢) نُسب هذا القول في (م) للبلاذري، وهو في «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٣٥. والكلام الواقع بين حاصرتين من (م).

(٣) تاريخ دمشق ٦٦/ ٤٧٣ (طبعة مجمع دمشق) ونسب هذا القول في (م) إليه، وما بين حاصرتين منها. لُدّ: القرية المعروفة قرب بيت المقدس والتي يُقتَل عندها الدَّجَّال، والصِّنَّبْرَة: موضع بالأردنّ بينه وبين طبريّة ثلاثةُ أميال. ينظر «معجم البلدان» ٣/ ٤٢٥ و٥/ ١٥.

(٤) ينظر «تاريخ دمشق» ٦٦/ ٤٧٠ـ٤٧٣ (طبعة مجمع دمشق).

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٦، ونسب الكلام في (م) إليه. وما بين حاصرتين بعده من (م).

(٦) نُسب الكلام في (م) لابن سعد، ولم أقف عليه عنده ولا عند غيره. وذكر ابن عساكر في «تاريخه» ٤٣/ ٢٨٥ هذا النقش لخاتم عبد الملك بن مروان، وذكر في ٦٦/ ٤٥٨ رواية أن نقش خاتم مروان: آمنت بالعزيز الرحيم، وفي رواية أخرى: العزة لله.

وحجَّ بالناس ستَّ حِجَج[1] في أيام معاوية: سنة ثلاث وأربعين، وسبع وأربعين، [وثمان وأربعين]، وأربع وخمسين [وستّ وخمسين].

وكان كاتبه عبيدُ بنُ أوس[2]، وحاجبُه المنهال مولاه[3]، وقاضيه أبو إدريس الخَوْلاني، وصاحب شرطته يحيى بن قيس الغسَّاني[4].

وكان مروان شاعراً، وذكر أبو العلاء [المعرّي] في خطبة «لزوم ما لا يلزم[5]»:

وهَلْ نحنُ إلا مثلُ مَنْ كان قَبْلَنا ... نموتُ كما ماتُوا ونحيا كما حَيُوا
وينقُص منا كلَّ يوم وليلةٍ ... ولا بد أن نلقى من الدهر ما لَقُوا
نُؤمِّلُ أنْ نبقى وكيف بقاؤنا ... فهلَّا الأُلى كانوا مضَوْا قبلَنا بقُوا
فَنُوا وهُمُ يرجُون مثلَ رجائِنا ... ونحن فنَفْنَى مرةً مثلَ ما فَنُوا
لنا ولهم يومَ القيامة موعدٌ ... ونُدعى له يومَ الحساب إذا دُعوا
ويُحبس منَّا من مضى لاجتماعنا ... بموطنِ حقٍّ ثم نُجزَى كما جُزُوا
فمنهم سعيدٌ سَعْدَةً ليس بعدَها ... شقاءٌ ومنهم بالذي قدَّمُوا شَقُوا[6]

ذكر أولاده:

كان له من الولد عبدُ الملك [وبه كان يُكنى]، ومعاوية، وأمّ عَمْرو[7]؛ أمُّهم عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية ـ [ومعاوية أبو عائشة هو الذي جَدَع أنف

---

(١) كذا وقع: «ستّ حجج»، وما سيرد ذكره خمس حجج، وما بين حاصرتين من (م)، وجاء في «تاريخ دمشق» ٦٦/ ٤٣٢ ـ٤٣٤ أنه حجَّ في السنوات: (٤٣ ـ ٤٥ ـ ٤٨ ـ ٥٤ ـ ٥٥).

(٢) في «المحبّر» ص ٣٧٧ أن عُبيد بن أوس كاتب معاوية ﷺ.

(٣) في «المحبّر» ص ٢٥٩: أبو المنهال الأسود.

(٤) المحبر ص ٣٧٣.

(٥) في (م): «وذكر أبو العلاء المعرّي أبياتاً وقال: إنها تنسب إليه وهي هذه». والأبيات في «لزوم ما لا يلزم» ١/ ٢٣. وينظر التعليق التالي.

(٦) الأبيات الأربعة الأولى في «معجم الشعراء» للمرزباني ص ٣١٧ مع بيت خامس:

ونـنـزلُ داراً أصـبـحـوا يـنـزلـونـهـا ... ونَـبْـلَـى عـلـى رَيْـب الـزمـان كـمـا بَـلُـوا

ولم أقف على مصدر آخر للأبيات الثلاثة الأخيرة.

(٧) ذُكر معهم في (م) عبد العزيز، وهو خطأ، لقوله بعده: أمُّهم عائشة... فأمُّ عبد العزيز بن مروان ليلى بنت زبّان، كما سيرد.

حمزة بن عبد المطّلب يومَ أُحد، وقد ذكرناه، وذكرنا أنه قُتل على أُحد بعد انصراف قريش بثلاثة أيام؛ قتله عليٌّ بأمر رسول الله ﷺ][(١)] ـ. وأم عائشة فاطمةُ بنتُ عامر بن جُذيم من بني جُمح، وأمُّها سُكينة بنتُ أبي مُعَيْط[(٢)].

وعبدُ العزيز، وأمُّ عثمان؛ أمُّهما[(٣)] ليلى بنت زبَّان بن الأصبغ، كلبيَّة.

وبشر، وعبد الرحمن؛ درج؛ أمُّهما قُطَيَّة بنت بشر بن عامر، كلبيَّة أيضاً.

وأبان، وعبدُ الله، وعُبيدُ الله، وأيوبُ، وعثمان، وداود، ورَمْلَة، وأمُّهم أمُّ أبان بنت عثمان بن عفَّان رضوان الله عليه، وأُمُّ أُمِّ أبان رَمْلَةُ بنتُ شَيْبة بن ربيعة بن عبد شمس.

وعَمْرو، وأمُّ عَمرو[(٤)]؛ وأمُّهما زينبُ بنتُ عمرو بن أمّ سلمة[(٥)] زوج النبي ﷺ.

ومحمدُ، وعُمرُ، كل واحد منهما لأمِّ ولد[(٦)].

وأمَّا عبد الملك؛ فنذكره.

وأما معاوية بنُ مروان [فقال البلاذُري:] كان أحمق، ويُكنى أبا المغيرة، طارَ له بازي، فأمرَ بغلق أبواب دمشق لئلا يخرج البازي من الباب.

[قال:] وسمع قائلاً يقول: لا أفلحَ حقلٌ لا يَرَى اسْتَ صاحبِه، فنزل إلى بستان [له] وأحدثَ فيه.

[قال: ومرَّ يوماً بديراني يقرأ الإنجيل ويقول: حَرْ، فقال له: يا ديراني، ما تقرأ؟ قال: الإنجيل. قال: ففي الإنجيل حر؟ قال: لا، ولكن لي أسفل العِلّيّه حمارٌ يطحن،

---

(١) ما بين حاصرتين من (م). وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٠٠. وسلف ذكر معاوية أبي عائشة ص٣٣٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) في (أ) و(خ): أمها، والتصويب من «طبقات» ابن سعد ٧/ ٤٠، والكلام ليس في (م).

(٤) كذا في «طبقات» ابن سعد ٧/ ٤٠، وفي «نسب قريش» ص ١٦١: عُمر وأمّ عُمر. وفي «تاريخ دمشق» ص ٥٤٢ (تراجم النساء ـ طبعة مجمع دمشق) أنه يقال لأمّ عُمر هذه أيضاً: أمّ عَمرو.

(٥) في «نسب قريش» ص١٦١، و«تاريخ دمشق»(الطبعة المذكورة): زينب بنت عُمر بن أبي سلمة. وفي «طبقات» ابن سعد ٧/ ٤٠: زينب بن أبي سلمة.

(٦) ينظر بالإضافة إلى المصادر السابقة: أنساب الأشراف ٥/ ٣٤٠ـ٣٤١، وجمهرة أنساب العرب ص ٨٧ـ٨٨.

وفي رقبته جلجل، وربَّما غفل، فأقول: حر، فيدور. فقال: وما يُدريك لعلَّه يقفُ ويحرِّكُ رأسَه، فتظنُّ أنه يمشي؟ فقال الديراني: من لي بحمار يكون عقلُه مثل عقل الأمير!

وقد ذكرنا أنه كان لمعاوية بن أبي سفيان ولد اسمه عبد الله، وكان أحمق، وجرى له مثل هذا.

قال البلاذُري:][1] وقال يوماً لأخيه عبد الملك: متى يكون يوم الأضحى من شهر رمضان؟ فقال عبد الملك لأبي الزُّعَيْزِعَة: أقِمْه. فأقامه[2].

[وقال البلاذري أيضاً:] وتزوَّج امرأةً، فلما أصبح قال لأبيها: لقد نكحتُ ابنتَك البارحةَ بقضيب ما رأَتْ مثلَه قطّ. فقال [له] أبوها: لو كنتَ خصِيّاً ما زوَّجناك.

[قال:] وتزوَّج بكراً، فلما أصبح قال لأمِّها: ملأَتْني ابنتُكِ البارحةَ دماً. فقالت: إنَّها من نسوة يختبئن ذلك الدم لأزواجهنّ. فقال: لو نهيتموهنّ عن هذا لكان أحسن. فقالت: لو كنتَ خَصِيّاً لاسترحتَ من هذا، وعلى مَنْ زوَّجك لعنةُ الله[3].

وقال له خالد بنُ يزيد: ما لي أرى أخاك عبدَ الملك لا يُوَلِّيك ولاية؟ فقال: لو أردتُ لولَّاني. فقال: سَلْهُ أنْ يُولِّيَك بيت لِهْيَا[4]. فغدا على عبد الملك فقال: ألستُ أخاك وشقيقَك؟ قال: بلى. قال: فولّني ولاية. قال: ما تريد؟ قال: بيتَ لِهْيَا. قال: متى لقيتَ خالدَ بنَ يزيد؟ قال: عشيَّةَ أمس. قال: لا تكلِّمه. ودخل خالد عليه فقال: كيف أصبحتَ يا أبا المغيرة؟ قال: قد نهاني هذا عن كلامك. وأشار إلى عبد الملك[5].

---

(١) من قوله: قال ومرّ بديراني... إلى هذا الموضع، وهو الواقع بين حاصرتين من (م). وينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٤١_٣٤٢.

(٢) المصدر السابق. وأبو الزُّعيزعة، مولى عبد الملك، بربريّ. ينظر المصدر نفسه ٥/ ٢٩.

(٣) ينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٤٢، و«المعارف» ص ٣٥٤، و«العقد الفريد» ٦/ ١٥٨.

(٤) هي قرية بغوطة دمشق. وجاء في حاشية النسخة (م) ما صورتُه: بيت لهيا بيت الأصنام. وينظر «معجم البلدان» ١/ ٥٢٢.

(٥) أنساب الأشراف ٥/ ٣٤٣، ونُسب الخبر في (م) لابن عساكر، ولم أقف عليه عنده.

[قال]: وقال له خالد يوماً: أتحبُّ أن تكونَ أميرَ المؤمنين؟ قال: نعم. قال: إذا خرج عبد الملك يوم الجمعة للصلاة والخطبة، فاسْبِقْه واصعد المنبر، وقد صرتَ أمير المؤمنين. قال: فسبقه إلى المنبر وصعد، فالتفت عبدُ الملك إلى خالد وقال: هذا عملُك؟ قال: نعم[١].

[قال: ومات له جار، فجاء أهلُه يطلبون له منه كفناً، فقال: ما عندي شيء. ولكن اصبروا يومين ثلاثة.

وقال البلاذري:] وُلد لمعاوية هذا: الوليد، وعبد الملك، وبشر، والمغيرة، فأما الوليد فقتله عبدُ الله بن علي لما فتح دمشق [وهدمَ سورَها] وهدمَ داره[٢].

وأما عبد الله[٣] بن مروان؛ فكان أحمق أيضاً، أهدى إلى الوليد بن عتبة قَطِيفةً حمراءَ، وكتبَ إليه: قد بعثتُ إليك قَطِيفةً حمراءَ حمراءَ. فكتبَ إليه: وصلَتْ، وأنت واللهِ يا ابن العمّ أحمق أحمق[٤].

وأمَّا عبدُ العزيز؛ فكنيتُه أبو الأصبغ، ولّاه أبوه العهدَ بعدَ عبد الملك؛ وأعطاه مصر، وسنذكره.

وأما بشر بن مروان؛ فولّاه أخوه الكوفةَ والبصرةَ، وكنيتُه أبو مروان، مات بالبصرة، وسنذكره.

وأمَّا أبان بن مروان؛ فولَّاه عبدُ الملك فلسطين، وكان الحجَّاج بنُ يوسف على شرطته.

---

(١) أنساب الأشراف ٥/ ٣٤٣، وما سلف وسيرد بين حاصرتين من (م).

(٢) المصدر السابق ٥/ ٣٤٢، وليس فيه ذِكر الوليد من أولاد معاوية بن مروان، وإنما نبَّه البلاذُري على أنه ليس لمعاوية بن مروان هذا من الولد إلا عبد الملك والمغيرة وبشر، وأن الوليد المذكور أعلاه إنما هو ابنُ معاوية بن مروان بن عبد الملك.

(٣) كذا في (أ) و(خ)، ولم يرد الكلام في (م). وينظر التعليق التالي.

(٤) الخبر في «البيان والتبيين» ٢/ ٢٣٢، و«العقد الفريد» ٦/ ١٥٧ وفيهما أن عُبيد الله بن مروان أرسل إلى ابن أخيه الوليد بن عبد الملك بالقطيفة، وجاء قول الوليد في آخرها: وأنتَ ـ واللهِ ـ يا عمّ أحمق أحمق. ولم يذكر ابنُ عساكر في «تاريخه» ٤٤/ ٤١٦ في ترجمة عُبيد الله بن مروان هذا المعنى فيه، بل على العكس من ذلك؛ أورد ما يفيد أنَّ له شأناً وذِكْراً. والله أعلم.

وأما داود بن مروان؛ فولدَ سليمانَ وكان أعورَ، وتزوَّج[١] فاطمة بنت عبد الملك[٢] بعد وفاة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

وأما محمد بن مروان؛ فكان أشجعَ بني مروان، وأحسنَهم خَلْقاً وخُلُقاً، وكنيتُه أبو عبد الرحمن، وكان عبد الملك يحسدُه على شجاعته، ويحبُّ أن يضع منه، وهو الذي قتل مصعبَ بن الزُّبير وإبراهيم بن الأشتر، فازداد عبد الملك له حسداً، وفيه يقول الشاعر:

جمعَ ابنُ مروانَ الأغرُّ محمدٌ ... ما بين أشْتَرِهِمْ وبين المصعبِ

ولما تبيَّن لمحمد حَسَدُ عبد الملك له، عزمَ على قصد أرمينية، وكان والياً عليها[٣]، فدخل على أخيه عبد الملك مودّعاً له وهو يقول:

فإنَّك لن تَرَى طَرْداً لِحُرٍّ ... كإلصاقٍ به طَرَفَ الهوانِ

ولو كنَّا بمنزلةٍ جميعاً ... جريتَ وأنت مضطربُ العِنانِ

فرقَّ له عبدُ الملك وقال: أقسمتُ عليك بالله يا أخي إلا أقمتَ، فواللهِ لا رأيتَ منِّي مكروهاً بعدَها. وولَّاه الجزيرة والموصل مضافاً إلى أرمينية[٤].

فولد محمد بنُ مروان يزيدَ بنَ محمد، وأمُّه أمُّ يزيد بنتُ عبد الله[٥] بن شيبة بن ربيعة، وعبدَ الرحمن، وأمُّه أمُّ جميل من ولد عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، ومروانَ، وأمُّه كرديَّة؛ أخذها [أبوه] محمد من عسكر ابن الأشتر، فيُقال: إنه لمَّا أخذها كانت حاملاً بمروان، فوُلد على فراش محمد، ومروان هذا هو الجعدي آخرُ خلفاء بني أمية.

---

(١) يعني سليمان بن داود. وينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٤٤، و«تاريخ دمشق» ٧/ ٦٠٥ (مصورة دار البشير).

(٢) في «أنساب الأشراف»: فاطمة بنت عبد الملك بن عبد العزيز، وهو خطأ. وينظر «جمهرة أنساب العرب» ص ٨٨.

(٣) في «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٧٠: عزم على إتيان أرمينية لغزو العدوّ بها. وجاء فيه خبر تولية أرمينية وغيرها بعد اعتذار عبد الملك إليه.

(٤) أنساب الأشراف ٥/ ٣٧١. وينظر «تاريخ دمشق» ٦٤/ ٣١٣ (طبعة مجمع دمشق).

(٥) في «أنساب الأشراف»: أمّ يزيد بنت يزيد بن عُبيد الله... وسمَّاها ابن سعد في «الطبقات» ٧/ ٢٣٣: رملة. وينظر «نسب قريش» ص ١٦٩.

وأمُّ عَمرو بنتُ مروان تزوَّجها الوليد بن عثمان بن عفَّان[١].

وعمرو بن مروان نذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى.

أسند مروان الحديث عن عُمر، وعثمان، وعليّ، وزيد بن ثابت ﷺ[٢].

وروى حديث مسّ الذَّكَر عن بُسْرة بنت صفوان؛ قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله[٣]: حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ عُلَيَّة، حدَّثنا عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال: سمعتُ عروة بن الزُّبير يحدِّث أبي[٤] قال: ذاكرتُ مروانَ بنَ الحَكَم مَسَّ الذَّكَر وقلت: ليس فيه وضوء. قال: فإنَّ بُسْرَةَ بنت صفوان تحدِّثُ فيه للوضوء[٥]. فأرسل إليها رسولاً، فذكر الرسولُ أنَّها تحدِّثُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من مَسَّ ذَكَرَهُ فليَتَوَضَّأْ».

وهذه بُسْرة بنتُ صفوان بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ، وأمُّها سالمة بنت أمية، وأخوها لأمِّها عُقْبة بن أبي مُعَيْط، وكانت بُسْرة عند المغيرة بن أبي العاص، فولَدَتْ له معاوية بن المغيرة، وهو جدُّ عبد الملك بن مروان لأمّه، وأمُّ عبد الملك عائشةُ بنتُ معاوية بن المغيرة[٦].

[الكلام على الحديث:

اختلف الفقهاء في مَسّ الذَّكَر؛ هل ينقض الوضوء أم لا؟ قال أبو حنيفة وأصحابُه: لا ينقض، وهو قولُ عُمر، وعليّ، وابن مسعود، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وحذيفة ابن اليمان، وعمران بن الحُصين، وأبي الدَّرداء، وأبي هريرة، وسعد بن أبي وقّاص، وعمار بن ياسر، وفقهاء الصحابة من التابعين ومن بعدهم: الحسن، وابن المسيِّب،

---

(١) نسب قريش ص ١٦٠. وأمُّ أمِّ عَمرو ـ كما سلف (أول الفقرة) وحسب هذا المصدر ـ هي عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاصي. وجاء في «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٤٠ أن الوليد بن عثمان بن عفان (المذكور أعلاه) تزوَّج أمَّ عثمان بنت مروان، وأن سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان تزوّج أمَّ عَمرو. وذكر ابن عساكر في «تاريخه» ص ٥٤٢ (تراجم النساء) أن سعيد بن خالد بن عَمرو تزوَّج أمَّ عُمر ـ ويقال: أمّ عَمرو ـ وأمُّها زينب بنت عُمر بن أبي سلمة (وسلف ذكرها). والله أعلم.

(٢) تاريخ دمشق ٦٦/ ٤١١ (طبعة مجمع دمشق).

(٣) مسند أحمد (٢٧٢٩٣).

(٤) في (م): يحدِّث عن أبي.

(٥) لفظة للوضوء ليست في «المسند». وفي (م): في الوضوء.

(٦) ينظر «الاستيعاب» ص ٨٧٦. وينظر أيضاً ص ٣٣٠ (أول الباب الخامس).

وابن جُبير، والنَّخَعي، وربيعة، والثوري، والشعبي، ومالك في رواية عنه وعن أحمد، وفي الرواية الأخرى عن مالك وأحمد أنه ينقض، وهو قول عائشة، وابن عمر، وأبان ابن عثمان، وعطاء، وأبي العالية، وعروة بن الزبير، والزُّهري، والشافعي. وعلى هذا الخلاف في مسّ الدّبُر، واحتجوا بحديث بُسرة بنت صفوان. وفي رواية: «وأيّما امرأة مَسَّتْ فرجَها فلتتوضَّأ». والله أعلم](١).

السنة السادسة والستون

فيها أُطلق المختار من السجن، وثار لطلب الثأر من قتلة الحسين عليه السلام.

وقد ذكرنا(٢) أنَّ التَّوَّابين لمَّا قدموا من عين وَرْدَة ونزلوا الكوفة؛ كتبَ إليهم المختار من السجن يُعزِّيهم في سليمان بن صُرَد ويقول: أنا صاحبُ الطلب بثأر أهل البيت.

وكان عبد الله بن خَطْمي وإبراهيم بن محمد بن طلحة قد حبساه، وكان يكاتبُ الشيعة من الحبس ويكاتبونه، ومالوا إليه بعد سليمان بن صُرد، وبعثوا إليه، ورأسُهم(٣) رِفاعة بن شدَّاد أحد الأمراء الذين تقدَّم ذكرهم.

ورِفاعة هو الذي قدم بمن بقيَ من جيش التَّوَّابين، وكان معه رؤوس الشيعة، فأرسلوا إلى المختار: إنْ شئتَ سِرْنا إليك فأخرجناك من السجن؛ فعلنا. فأرسلَ إليهم مع رسولهم عبد الله بن كامل: ما أُريد هذا، وأنا خارجٌ في هذه الأيام.

قال هشام في روايته عن أبي مِخْنَف قال: وكان المختار قد بعث غلاماً إلى مكة إلى ابن عُمر ـ واسم الغلام زِرْبِيّ(٤) ـ وكتب معه كتاباً يقول: إني حُبستُ ظلماً. وسأله أن يكتبَ إلى عبد الله بن يزيد الخَطْمي وإلى إبراهيم يشفع إليهما في إطلاقه.

---

(١) من قوله: الكلام على الحديث... إلى هذا الموضع (وهو الواقع بين حاصرتين من (م). وجاء في حاشيتها ما صورتُه: (لله درُّ المصنف في نُصرته مذهب أبي حنيفة وإسناده مذهبه إلى معظم الصحابة رضوان الله عليهم وعليه. وبذلك يُعلم أنه حنفي المذهب، وقد ذُكر في طبقات الحنفية، وله ترجمة واسعة جميلة؛ فليراجعها من أراد الإطلاع. والله أعلم). اهـ. قلت: ورواية: «وأيما امرأة مسّت فرجها فلتتوضأ» في «مسند أحمد» (٧٠٧٦). من حديث عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما.

(٢) ص ٣٢٢-٣٢٣. وينظر «تاريخ» الطبري ٥/٦٠٦.

(٣) في (ص): ورؤساهم. وقد أضيفت هذه النسخة بدءاً من هذه السنة (٦٦) وهي نسخة أياصوفيا.

(٤) في (أ) و(خ) وﷺ: رزينا. وفي «تاريخ الطبري» ٨/٦ : ويُدعى الغلام زربيّاً، وأثبتُّ اللفظة على الجادّة.